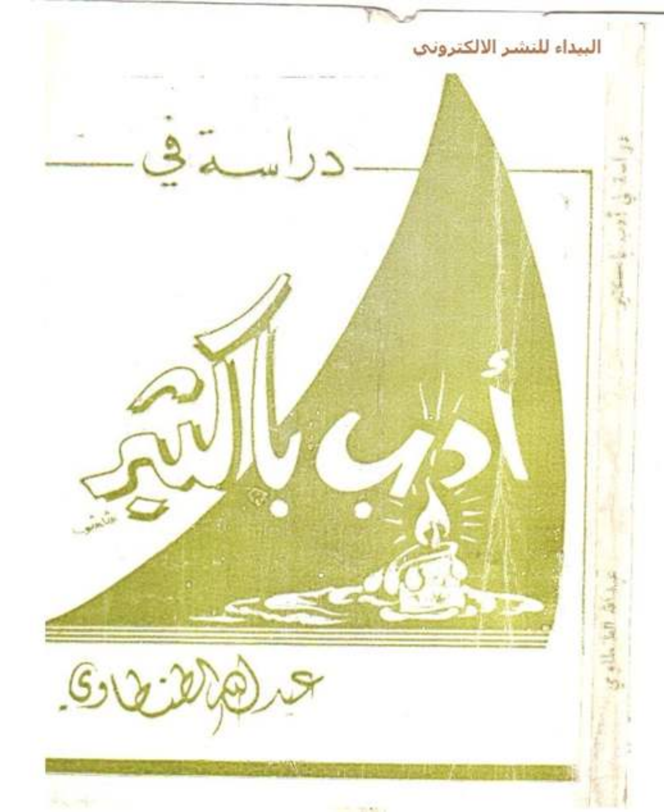

دراسة في
أدب بالكثير
عبد الله الطنطاوي

الطبعة الاولى
١٣٩٧ - ١٩٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الكلمات كتبت في أوقات متباعدة، ونشرت في مجلات عربية في أقطار متباعدة أيضاً، وبعضها كان على صورة محاضرة، ولكن ينتظمها خط واحد، واطار واحد، خط العرض والتحليل ضمن اطار باكثير.

وكان في النية - ومايزال - أن نخرج دراسة كاملة مستقصية لمسرح باكثير الطويل، وأخرى لمسرحه القصير ذي الفصل الواحد. ولعل الأقدار تتيح لنا من الفراغ مايبارك الله فيه، فننهض بهذه المهام، وبالله التوفيق، وهو وحده من وراء القصد.

عبد الله الطنطاوي ٣٠ / ٥ / ١٩٧٥

الكاتب

- من أسرة عاش أبناؤها في مهب الريح.
- جده الثاني علي الشرقاوي وفد الى هذه البلاد في حملة ابراهيم باشا على سورية ، واستقر في انطاكية .
- جده الأول قدم الى سورية مع اخوته
- أبوه وأعمامه تفرقوا في البلاد بين اعزاز وعفرين وحلب ، وفي الألقاب بين طنطاوي وخطيب ومصري وشيخ محمود .
- ولد الكاتب في اعزاز من أبوين صالحين.
- يحمل إجازة في آداب اللغة العربية ودبلوم الدراسات العليا في الأدب.
- يحضّر رسالة الماجستير في الأدب.
- يعمل مدرساً للغة العربية في ثانويات حلب
- صدر له وبالاشتراك حتى الآن : ذرية بعضها من بعض ـ محمد غزيل ـ عظماؤنا في التاريخ ـ في الدراسة الأدبية ـ في الانشاء الأدبي .

علي احمد باكثير في سطور :

- هو واحد من شوامخ ادبائنا العرب على مدى التاريخ .
- ولد في سورا بايا «١» (أندونيسيا) عام ١٩١٠ من ابوين عربيين .
- ارسله والده الى حضرموت ، وهو صغير ، لينشأ في وطن آبائه ، كما هي عادة الحضارمة في المهاجر ، وليعيش في كنف عمه ، وعمه رجل علم ودين وأدب .

«١» جاء في الموسوعة العربية الميسرة ص١٠٣١ « سورابايا : مدينة ، (سكانها ٣٤١٦٧٥ نسمة) في ش.ق. جاوة بأندونيسيا ، على نهر كالي ماسي ، بالقرب من مصبه ، وعلى الطرف الغربي لمضيق مادورا يوجد في ش . المدينة ميناؤها تانجنجبيراك الذي يصدر منه السكر والتبغ والبن وخشب التاكه والمطاط والبترول والبهارات وزيوت الخضروات . وأكبر قواعد اندونيسيا البحرية . وتعتبر سورابايا المنافس الرئيسي لمدينة (جاكارتا) في الحجم والاهمية التجارية ، والصناعات التي من بينها بناء السفن والمنسوجات والمعادن والآلات والكيماويات والمطاط ويقرب منها معمل لتكرير البترول .

— وفي حضرموت تلقى ثقافته العربية الاسلاميـــة ، وتعلق بالشعر ، فكتب الكثير منه وهو ابن ثلاث عشرة سنة دون ان يخرجه في ديوان ، إلا ماكان منه في صورة مسرحية .

— هجر حضرموت عام ١٩٣١ وقدم الحجاز ، ومكث فيها قرابة عامين ، على أثر وفاة زوجته الأولى .

— ومن الحجاز قدم الى مصر عام ١٩٣٣ ليدرس الفقـــه في الأزهر ، ولكنه التحق بكليـة الآداب : قسم اللغـة الانكليزية ، ونال الليسانس منها عام ١٩٣٩ .

ثم دخل معهد التربية المعلمين وتخرج فيه عام ١٩٤٠ .

— اشتغل بالتدريس حيناً من الزمن في مـدرسة (الدواوين) حتى عام ١٩٥٣ ثم نقل الى وزارة الثقافة ، ثم منح منحة التفرغ مـدة عامين لكتابة ملحمة مسرحية ضخمة هي ملحمة عمر بن الخطاب ، في ثمانية عشر جـزءاً . وهو أول من نال منحة التفرغ من الأدباء المصريين .

— اشترك في سبع مباريات أدبية ، فاز فيها جميعاً بجوائز القصة والمسرحية من وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل .

— نال جائزة الدولة التشجيعية في الآداب عام ١٩٦٣ .

— كان عضواً في لجنة الشعر للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب في ج.ع.م

— رحل الى فرنسا في بعثة دراسية حرة عام ١٩٥٤ .

— وفي عام ١٩٥٦ زار رومانيا والاتحاد السوفيتي ، عضواً في وفـــد أدباء مصر بدعوة من اتحادي كتاب القطرين المذكورين .

— وفي عام ١٩٥٨ مثّـل الجمهورية العربية المتحدة في مـؤتمر كتاب آسيا وافريقيا الاول الذي عقد في طاشقند .

— وفي عام ١٩٥٩ مثّـل القطر المصري في مهرجان الشعر بدمشق .

— وفي عام ١٩٦٩ زار لندن لاول مرة .

— وفي العام نفسه مثّل بلاده في مؤتمر الادباء العرب السابع.

— تزوج من فتاة مصرية وأنجب منها .

— لقي ربه في تشرين الثاني عام ١٩٦٩ .

مواقفـــه

مواقفه السياسية والاجتماعية والانسانية والفكرية والفنية والادبية تنطلق من منطلق واحد ، هو منطلق العربي الاسلامي وأكثر ما كتب يعبر تعبيراً حياً عن هذه المواقف الملتزمـة ، ولعل ابرزها قضايا تحرر العالم العربي والعالم الاسلامي ، وسترى بعد قليل ريادته في التنبه للأخطار المحيقة بفلسطين قبل وقوع النكسة ببضع سنين ، ولعل من المفيد أن نذكر بعض مواقفه من حركات التحرر السياسي من ربقة الاستعمار الغربي :

١ ـ عندما نشبت ثورة اليمن عام ١٩٤٨ على ايدي نفر مؤمن تآمر عليهم الملوك والرؤساء العرب حتى اجهضوا ثورتهم ، واعادوا اليمن الى أئمتها الرجعيين . قال في تلك الثورة مبدياً فرحة الاعماق بها :

ملك يموت وامة تحيا   بشرى تكاد تكذب النعيا
ما كان ابعد أن نصدقها   سبحان من اردى ومن احيا

٢ ـ كما حيا الزعيم المغربي العظيم علالاً الفاسي الذي كان يقود حركة التحرر في المغرب العربي المكافح :

ذكرتك ياعلال والناسُ هجعُ
وليس سوى جفني وجفنك ساهد
وللهمِّ حزٌّ في فـؤادي قاطع
ولليأس فتـكٌ في أماني حاصـد
تكاد الدجى تقضي علي لأنها
دجى العرب تاهت في عماها المقاصد

٣ ـ وحين زار الزعيم المسلم الفضيل الورتلاني مصر ، وهـو مجاهد جزائري كبير ، وقد كان له دوره المعروف في ثورة اليمنية عام ١٩٤٨ حيّاه بقوله :

أفضيل ، هذي مصر تحتفل   بلقاك ، فانعم أيها البطل
انظر تجد مصرا محررةً   مذ تم فيها الحادث الجلل

٤ ـ وعنـدما استشهد صـلاح الدين الصباغ في العراق ، رثاه بأكثر من مصر رثاء أثار المجاهدين والقعدة على حد سواء :

فيم احتشادكم هذا التابيني ؟   انتم احق بتابين الورى دوني

فالشهادة الامية كرمت   عن ميتة الداء أو عن ميتة الهون

ولعلنا نتبين موافقه الأخر من خلال مايأتي من حديث وان كنت أحب أن استبق القول في الحديث الموجز عن موقفه من اللهجة العامية ، ومناصبتها العداء في الوان الكتابة كلها ، حتى في المسرح الذي يزعم بعض المرجفين ان العامية اصلح للحوار من اللغة الفصيحة ، واذا هو يردّ عليهم بقوله :

« ينبغي أن يكون الحوار واقعياً ينبع من الشخصية ذاتها ، فيكشف عنها ، ويحمل خصائصها ..

« وانما المراد بواقعية الحوار ان يلتزم الكاتب حدود الشخصية الموسومة ، فلا ينطقها إلا بما يتلاءم معها ، سواءٌ أوتيت أو لم تؤت القدرة على الافصاح عن ذاتها ..

« ان أصلح اداة لرسم الشخصية ، وتوضيح ملامحها النفسية ، وتميزها عن غيرها من الشخصيات هي اللغة المحايدة ، أي اللغة التي ليست لها صبغة محلية صارخة تطمس تلك الملامح ، وتقضي على الخصائص ، وتطبعها مع غيرها من الشخصيات على غرار واحد .

واللغة الفصيحة عندنا هي اللغة المحايدة التي يستطيع الكاتب القدير أن يتصرف فيها ، ويخلق منها الواناً متنوعة من التعبير تناسب الشخصيات المتنوعة التي يرسمها . ان مثل هذه اللغة الفصيحة المحايدة كمثل الماء الصافي الذي يمكن تلوينه بأي لون تريد ، فيظهر هذا اللون على حقيقته . اما اللغة العامية فمثلها كمثل الماء الملون ، لايمكن ان يظهر أي لون جديد على حقيقته .

« والخلاصة أن الكاتب المسرحي يستطيع باللغة الفصيحة أن يصور مايشاء من الأجواء المختلفة بأن ينفخ فيها الروح المحلية الخاصة بشخوص مسرحيته . فالروح المصرية مثلاً يمكن أن تترقرق في اللغة الفصيحة كما يترقرق الماء في كأس من البلور .

« ومن نافلة القول أن أشير أن اللغة العامية ليست لغة جامعة حتى في داخل القطر الواحد ، ففي القطر المصري مثلاً لهجات عامية متنوعة ، وكذلك الحال في الأقطار العربية الأخرى . فيا ليت شعري : أي هذه اللهجات تتخذها لغة

أجل . إنه مما لا شك فيه أن اللغة كائن حي ، وأن اللغة الدارجة لطول تداولها على الايام قد اكتسبت من المرونة والحرية ورشاقة التعبير الحافل بالظلال والالوان ، مالم تكتسبه اللغة الفصيحة غير المتداولة . ولكن السبيل ليس استعمال هذه اللغة الدارجة نفسها في أدبنا المسرحي ، ولا في أدبنا القصصي على العموم . وانما السبيل هو ان نقتبس اسلوبها ومنطقها وبلاغتها من حيث التقديم والتأخير وسائر خصائصها الحية المرنة وننقلها الى كتابتنا الفصيحة الجارية على قواعد الاعراب ، وبذلك تتكون عندنا لغة جديدة تعكس واقعنا ، ولا تنفصل عن الفصحى ، لغة حية متطورة تحفل بالالوان والظلال الخاصة بكل بلد عربي على حدة ، ولكنها مفهومة لجميع الشعوب العربية ولقراء العربية في كل مكان ». «١»

(١) باكثير ـ فن المسرحية ـ ٧٥ و ٧٩ و ٨٠

آثاره :

عالم باكثير عالمٌ ثرٌ ، خصب ، جمع الواناً من الادب المسرحي والروائي والشعري ، ولعلي استطيع تقديم موجز عن أعماله ، مع بعض التعريف :

أ ـ مسرح باكثير :

١ ـ **همام أو في عاصمة الاحقاف** : رواية شعرية تمثيلية ـ كما جاء على صفحة الغلاف ـ ألفها قبل عام ١٩٣٣ في مدينة الطائف بالسعودية . ونشرتها عام ١٩٣٤ المطبعة السلفية لصاحبها محب الدين الخطيب . يقول كاتب المقدمة الاستاذ حسن كامل الصيرفي : « تلمح في درامته صورا سريعة العرض ، تمثل ذلك القطر الشقيق رازحاً تحت أعباء ثقيلة من بدع متوارثة خلفتها عصور مظلمة ، وسياسة غريبة عجيبة ، تتحكم في مصير شعب ضعيف ، خدرته بالعقائد والاوهام ، فسيرته في سبلها طائعاً طاعة عمياء ، وليس أقدر من العقائد على أسر النفوس الضعيفة ، النفوس التي تضعها الفطرة في دائرة محدودة ، وتشلُّ تفكيرها ، وتقصر مدى نظرتها . » ص : د ـ هـ .

وقد عدها باكثير قصة حضرمية تجلو لهم صورة من صور الأدب الحضرمي الحـــديث ، أراد بتقـديمها الاسهام « بنصيب من العمل على تقوية الروابط الادبية بين الشعوب التي توحدها العروبة والاسلام ، وتجمعها الآمال والآلام »

وقد كتب هذه المسرحية بالشعر العمودي ، في مئة وست صفحات من القطع الوسط .

٢ - **روميووجوليت** : وهي مسرحية ترجمها عن الانكليزية لشكسبير ، والنسخة التي اعتمدت عليها في هذه الترجمة هي طبعة ماكميلان . وقد تقيدت بالأصل ، ولم اتصرف تصرفاً يخالفه الا في موضعين أو ثلاثة مواضع نبهت عليها في أماكنها وما يجد القارىء من نثر في هـذه الترجمة فهـو كذلك في الأصل ، اذ أن باكثير ترجمها بالشعر المرسل المنطلق - كما يقول في المقدمة - أو ماندعوه نحن بشعر التفعيلة قبـل عام ١٩٣٥ وهو يعتقد « أن هذه الطريقة في النظم هي أصلح مايترجم به شكسبير الى الشعر العربي ، وأعونه على الاحتفاظ بروحه على قدر الامكان » ص٣ من المقدمة . وقد جاء الكتاب

في مئة وست وأربعين صفحه من القطع الوسط .

٣ - **اخناتون ونفرتيتي** : وهي مسرحية شعرية كتبها باكثير بشعر التفعيلة عام ١٩٣٨ ونشرها عام ١٩٤٠ .

يقول باكثير في مقدمة طبعتها الثانية : هذه مسرحية اخناتون ونفرتيتي ، اعود اليها بعد تسعة وعشرين عاماً منذ عايشتها وكتبتها سنة ١٩٣٨ فأقدمها اليوم للقراء العرب كما خرجت للناس في طبعتها الاولى سنة ١٩٤٠ . أقدمها منتشياً مما أجد في سطورها من انفاس شبابي الأول ، ومغتبطاً لما أصابت من حظ عظيم ، اذ صارت نقطة انقلاب في تاريخ الشعر العربي الحديث كله ، فقد قدّر لها أن تكون التجربة الأم فيما شاع اليوم تسميته بالشعر الحـــر أو الشعر التفعيلي ، وأسميته أنا قديماً : الشعر المرسل المنطلق » وسيأتي تفصيل هذه القضية في الصفحات التاليات ان شاء الله تعالى

يقول المرحوم ابراهيم عبد القادر المازني في تقديم هذه المسرحية:

(هذه ثمرة اخرى يجنينا اياها الصديق السيد ابو كثير - كثر الله خيره - من بستان ادبه ، وكانت الاولى مما ترجم عن شكسبير

- قرأته منسوخاً وراجعته على الاصل ، وشهدت للصديق بالدقة والاقتدار ، وبقي في نفسي شك في صلاح البحر الذي تخيره لهـذا الضرب من الشعر المرسل الذي يجري فيـه الحوار التمثيلي ».

ثم لاحظ المازني عدداً من السمات في هذه المسرحية الشعرية ، كالتدفق والسهولة والانسانية التي لاتدع للنثر مزية بالاضافة الى تمكنه من تصوير « عصر اخناتون » والبوادر المنبئة بوشك النطور ، وشخصية هذا الملك المسيحي الروح ، الشاعر ، الحالم المؤمن بأن له رسالة روحية واجبة الاداء والتبليغ ، وما انطوت عليه نفسه من روح الطفولة المحببة التي هي قرين الشاعرية ».

وختم المازني مقدمته بقوله :

« ان كتاب الصديق السيد أبي كثير تحفة جديرة باكبار الادباء والمؤرخين ، وبشرى ايضاً بظهور كوكب جديد في عالم الشعر ».

وأما باكثير فانه اراد بها ان يسجل مجداً من امجاد هذا الشرق العربي في تاريخه القديم ، فحياة اخناتون - كما تصورها هذه المسرحية - ملأى بالعبر والعظات ، حافلة بمواقف البطولة والتضحية والجهاد في سبيل المثل العليا في هذه الحياة ، والسعي لادراك الحقيقة الخالدة . وقـد جاءت المسرحية ودراسة الشخصيات في ختام الكتاب في مئتين وثلاث صفحات من القطع الوسط .

٤ - **قصر الهودج** : مسرحية شعرية كتبها على الشعر العمودي لتكون اوبرا أي مسرحية غنائية ملحنة ولم يتقيـد فيها ببحر واحـد ، بل استخـدم مختلف البحور حسبما يقتضي المقـام ، مراعياً في ذلك مطابقتها لحالات التعبير المختلفة ، ومتحاشياً اطراد البحر الواحد والقافية الواحـدة ماأمكن ، كيلا تغدو المسرحية مجموعة من القصائد ، وحرصه على التنويع في القوافي من أجل التنغيم الموسيقي .

٥ - **بلبل الاسلام** : أوبريت من النمط الرفيـع ، وهي تستأهل دراسة فنية كاملة ، لعلنا ننهض بها مع ماننوي إصداره عن عالم باكثير الخصب .

٦ ـ **الفرعون الموعود** : من الأدب الاسطوري الفرعوني وهي مسرحيـــة أصدرها عام ١٩٤٥ في خمس وتسعين صفحة
٧ ـ **عودة الفردوس** : دراما حديثه في مئة وستين صفحة نشرها عام ١٩٤٦ موضـوعها استقـلال اندونيسيا ، واهداها الى العرب والمسلمين ، وهدف من ورائها ان يقول لهم : ان الجهاد هو طريق النصر والخلاص من الاستعمار . وهي مؤلفة من أربعة فصول.

٨ ـ **سر الحاكم بأمر الله** : مسرحية تاريخية ممتعة ، تقع في مئة واثنتين وخمسين صفحة ، في ستة مناظر ، نشرها عام ١٩٤٦ وهدف من ورائها الى تبيان استحالة انسلاخ الانسان من انسانيته وبشريته ، وهـذا مانفهمه من خــلال الحـديث عن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمـره ، تلك الشخصية العجيبة . وعندما مثلت هذه المسرحية لقيت رواجاً عجيباً في القاهرة ، ممـا اثار ضغائن الحاقدين من أدعياء النقد والفن .

وسنرى ان التاريخ يأخذ حيزاً كبيراً في أدب باكثير ؛ مسرحه ورواياته ، ويعلل باكثير هذا بقوله :
« **ان الفن عموماً ، والفن المسرحي خصوصاً ، ينبغي ان**

يقوم اكثر مايقـــوم على الرمز والايحاء ، لا على التعيين والتحديد ، فتكون الحقيقة التي يصورها العمل الفني ـ وهو هنا المسرحية ـ اوسع وارحب من الحقيقة التي يمثلها الواقع واحداث التاريخ تعين الكاتب على بلوغ هذه الغاية ، اكثر مما تعينه احداث الجيل المعاصر ، لأن احداث التاريخ قد تبلورت على مر الايام ، فاستطاعت ان تنزع عنها الملابسات والتفاصيـــل التي ليست بذات بال من حيث الدلالات التي يتصيدها الكاتب للوصول الى الهدف الذي يرمي اليـــه في عمله الفني . »

الى جانب اعتقاده ان الموضوعات التاريخية تخلصه من مشكلة اللغة ، لأن اللغه الفصيحةهي الأقدر والأنسب للمسرحية التاريخيه .

٩ ـ **السلسلة والغفران** : مسرحية اجتماعية تتألف من ثلاثة فصول ، في مئة واثنتين وثلاثين صفحة تعالج مشكلةالزنا وهدفها : **كما تدين تدان وقيمة التوبة في حياة الانسان .**

١٠ - **ابراهيم باشا** : كتاب يضم ثلاث مسرحيات قصيرة هي : **ابراهيم باشا - عمر المختار - فارس البلقاء** في مئة وثمان وخمسين صفحة من القطع الوسط .

١١ - **الدكتور حازم** : مسرحية اجتماعيـة في سبعة مناظر موضوعها قوامة الرجال على النساء . وهـذا الموضوع ينهض على فكرتين ، اولاهما : لمن تكون ولاية البيت اذا كان الأب ضعيفاً غير رشيد وكان الابن هو الرشيد الحازم . والثانية هل للحماة ان تتدخل في شؤون صهرها زوج ابنتها ؟ وفي هذا عيب انشطار فكرتها الاساسية كما يعترف باكثير نفسه - .

١٢ - **ابو دلامة** . وهي مسرحية تاريخية فكاهية تتناول حياة ابي دلامة مضحك الخليفة وهي في مئة واثنتين وخمسين صفحة من القطع الوسط . عندما عرضت في القاهـرة لقيت إقبالاً شديداً في عامي ١٩٥٤ - ١٩٥٥ .

١٣ - **مسمار جحا** : وهي مسرحية سياسية اجتماعية ، تعالج موضوع الاستعمار البريطاني الذي احتل مصر . واستطاع باكثير من خلال هذه الشخصية الشعبية الفولكلورية

ان يصل الى غرضه بأسلوب بعيد عن المباشرة ، ولكن الرمز فيه شفاف موح بمرامي باكثير الذي يناصب المحتلين العداء .

واما الجانب الاجتماعي في هذه المسرحية ، فيتمثل في الصراع الدائر بين أم الغصن من جهه وزوجها جحا وابن اخيه حماد من جهة ثانية . أم الغصن بما فطرت عليه من الجاه والفخفخة الكاذبة التي تدفعها الى تزويج ابنتها من ابناء احد الموسرين الأثرياء ، بينما يرى جحا في ابن أخيه حماد الزوج الصالح لابنته ، على الرغم من خصاصته .

١٤ - **ماساة اوديب** : أصدرها عام ١٩٤٩ بعد نكبة فلسطين - كما سيأتي - في مئة وست وثمانين صفحة من القطع الوسط. وقد استمدها من المسرح الأسطوري الاغريقي ، وبالذات من مسرحية (اوديب ملكاً) لسوفوكليس ، ولكنه - مع محافظته على الاشخاص والاحداث تقريباً في مسرحية سوفوكليس - وجهها وجهة أخرى تختلف عن توجيه سوفوكليس الأحداث والشخصيات ، إذ الشخصيات لدى سوفوكليس فاقدة الارادة ، تسيرها الأقدار والآلهة المزيفة ، بينما هي عند باكثير

حرة الارادة والفعل .

١٥ - **سر شهرزاد** : وهي من المسرح الاسطوري استمدها من الف ليلة وليلة ، واستطاع الكاتب ان يحل لنا لغز شهريار الذي كان يتزوج كل ليلة من عذراء ، ثم يذبحها في الصباح الأمر الذي يحدونا الى القول : كان الأحرى بيا كثير ان يسمي مسرحيته (سر شهريار) بدلا من سر شهرزاد .

تقع هذه المسرحية في مئة واربعين صفحة من القطع الوسط ، وكان نشرها في القاهرة عام ١٩٥٣ وهي مؤلفة من أربعة فصول . وعندما عرضت في مصر لقيت نجاحاً عظيما أوغر صدور الحساد عليه .

وهذه المسرحية تعالج موضوعاً نفسياً هو كيفية التخلص من الشعور بعقدة الذنب ، ويبرز دور المرأة في اصلاح الرجل وصلاحه جلياً . وأحب ان ألفت الانظار الى الفصل الذي كتبه الدكتور عز الدين اسماعيل في كتابه القيم (التفسير النفسي للأدب) من هذه المسرحية ، تلخيصاً

وتحليلا ، ففيه مايقضي الوطر ويرضي العقل بدراسته النفسية لها .

١٦ - **الدنيا فوضى** : ملهاة اجتماعية أصدرها في القاهرة عام١٩٥٩ مؤلفة من ثلاثة فصول في مئة وثمان وعشرين صفحة هدف منها : ان لكل من الجنسين جنس الرجال وجنس النساء صفاته الخاصة به فان انعدمت هذه الصفات انقلبت الدنيا الى فوضى ، ومن خلال هذا الهدف ابرز الكاتب قوامة الرجال على النساء ، وعلى كل من الرجال والنساء ان يرتضوا بما خلقوا له فيحتل كل جنس الموضع الطبيعي الذي جعله الله فيه ، ويستجيب الرجل لفطرته والمرأة لفطرتها ، عندئذ يصلح المجتمع وتنعدم الفوضى .

١٧ **اوزوريس** : مسرحية مؤلفة من اربعة فصول في مئة واربع وثلاثين صفحة اصدرها في القاهرة عام ١٩٥٩ وتعالج اسطورة فرعونية هي اسطورة ايزيس وزوجها ملك مصر صاحب القصر الاخضر اوزيريس . وهي مسرحية هادفة ذات اسقاطات على الواقع والعصر لان الكاتب باكثير لايكاد يغيب عن عصره في

كل ما كتب . وهو عندما يستعير الاسطورة إنما يفعل ذلك اعتقاداً منه بغناها بل هي عنده واغنى من التاريخ وارحب افقاً واكثر انطلاقاً من القيود الزمنية والظروف المحلية . فالحادث المعاصر اذا تقادم يصير تاريخاً والتاريخ اذا تقادم يصير اسطورة .»

١٨ ـ دار ابن لقمان : مسرحية تاريخية جاءت في ثلاثة فصول ومئتين وثمان وثلاثين صفحة من القطع الوسط . وتعتبر من امتع ما كتب في المسرح التاريخي ان لم اقل امتعه على الاطلاق هدف منها الى تبيان دور الشعب والقائد معاً في القضايا المصيرية ، عندما تتعرض البلاد الى الخطر . وهي تتحدث عن مرحلة خطيرة من مراحل تاريخنا ، عندما هاجم الصليبيون مصر بقيادة القديس لويس التاسع وتصدي المماليك والقادة المصريون وعلى رأسهم فخر الدين وشجرة الدر لأولئك الصليبين ودحرهم اياهم ومن ثم اسر الامبراطور لويس قائد الحملة في دار ابن لقمان . ولو اغنى التلخيص اي عمل ادبي فانه لن يغني في تلخيص هذه المسرحية الرائعة .

١٩ ـ قطط وفيران : ملهاة اجتماعية في ثلاثة فصول ومئة وست وخمسين صفحة هدف منها الى تبيان ان السعادة الزوجية انما تكمن في التعاون بين الزوجين .

٢٠ ـ هاروت وماروت : مسرحية دينية تتحدث عن نزول الملكين هاروت وماروت الى الارض بل في مدينة بابل . وتقوم هذه المسرحية على فكرة التباين بين طبيعة الملائكة وطبيعة الانسان . فالابتلاء من طبيعة الانسان والناجح فيه يفضل الملائكة ، وهنا تبرز أهلية الانسان للخلافة في الارض . فالملكان هاروت وماروت عندما تعرضا للابتلاء سقطا في الامتحان . مسرحية طريفة ممتعة جاءت في أربعة فصول ومئة واربع وثلاثين صفحة من القطع الوسط اصدرها عام ١٩٥٩ ، وتقيد فيها بما صح لديه من النصوص الدينية ، وان كنا نأخذ عليه خطته في التوفيق مرة والتلفيق اخرى بين الروايات .

٢١ ـ الزعيم الأوحد : مسرحية فكاهية في أربعة فصول ومئة وثلاث وثلاثين صفحة من القطع الوسط ، اصدرها عام ١٩٥٩ تخيل فيها نهاية عبد الكريم قاسم والشيوعيين في العراق قبل وقوع تلك النهاية ، وسقوطهم جميعاً . ورمى من ورائها الى تبيان خطر الشعوبية الجديدة على العروبة والاسلام .

ويبدو خيال باكثير مجنحاً في هذه المسرحية ، ثم جاءت الاقدار مؤيدة ذلك الخيال، حتى في بعض التفصيلات والجزئيات

٢٢ - جلفدان هانم : ملهاة اجتماعية في ثلاثة فصول ومئة وست وخمسين صفحة اصدرها عام ١٩٦٥ ورمى الى توضيح فكرة صراع الاجيال ، وبقاء الافضل ، او استجابة القدر لذوي الارادة الخيرة . وانتصار الحقيقة على الزيف .

٢٣ - الفلاح الفصيح : مسرحية اجتماعية في مئه وعشر صفحات من القطع الوسط اصدرها في آذار ١٩٦٦

٢٤ - هكذا لقي الله : مجموعة من المسرحيات التاريخية القصيرة

٢٥ - حبل الغسيل : مسرحية اجتماعية انتقادية حاول فيها الانتقام من اعدائه الذين حاولوا حجبه وقتله ، فجرت عليه نقمتهم واحقادهم وانتقامهم .

٢٦ - شلبية : مسرحية اجتماعية .

٢٧ - الدودة والثعبان : مسرحية تاريخية ماساوية

تتألف من أربعة فصول في مئة واثنتين وثلاثين صفحة نشرها بعد نكسة حزيران ١٩٦٧ . وتتحدث عن الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت . وهي حلقة من ثلاث حلقات ، ولكن لم ينشر من هذه الثلاثية سواها ، أما الحلقتان الأخريان فهما (احلام نابليون) و « ماساة زينب » . وفي هذه المسرحية « الدودة والثعبان »

ـ وكان عنوانها المطبوع والمطموس على الغلاف هو : جيش الشعب ـ ابرز باكثير قيمة الصراع المسلح المنظم الخاضع للتخطيط والتدبير ضد كل القوى الأجنبية ، وكان يتزعم هذا الكفاح المسلح الشيخ الضرير سليمان الجوسقي ، هذا الشيخ الاعجوبة الذي كوّن جيشاً من زملائه العميان في القطر المصري فيما يشبه التنظيم السري المؤمن بفكرة المقاومة المسلحه . « تبدأ هذه المسرحية والجيش الفرنسي قد صار على ابواب القاهرة ، وتمتد أحداثها حتى قيام ثورة القاهرة عابرة بذلك المرحلة الاخيرة من المقاومة الحربية ، ثم بدايات المرحلة التالية ، مرحلة المقاومة الشعبية الداخلية »وقارىء

هذه المسرحية لابد له من ان يلاحظ الاسقاطات الرائعة على الواقع العربي المؤلم الذي هو اشبه مايكون بعصر المسرحية

٢٨ – **امبراطورية في المزاد** : ملهاة سياسية في أربعة فصول ومئة واحدى وثلاثين صفحة من القطع الوسط ، اصدرها عام ١٩٥٢ ، هاجم فيها الاستعمار البريطاني المتحالف مع الصهيونية العالمية ، ودعا الى تكتل دول العالم الثالث ، واجتماع زعمائها في مؤتمر عام يعقد في دلهي ، وذلك قبل التفكير بعقد مؤتمر باندونغ بثلاث سنين . وهدف منها الى عـدة اهداف ، لعل أهمها دعوته الى ضرورة انصاف العالم الثالث ، وهذا الانصاف الى جانب المشكلات الدولية الاخرى ،لن يكون له حل الا بقيام الكتلة الثالثة على ارض الواقع السياسي العالمي . وسنعود الى الحديث عن هذه المسرحية .

٢٩ – **ملحمة عمر** : وهي في ثمانية عشر جزءاً او تسع عشرة مسرحية . وهي في الاصل جزءٌ من الملحمة الاسلامية الكبرى التي كان ينوي اصدارها لولا المنون . وهذه الملحمة مفخرة من مفاخر باكثير عرض فيها لسيرة الحاكم مضرب المثل

في العدالة وقوة الشخصية الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان أن جمع فأوعى ، في حفاظه على الأمانة التاريخية اذ ينقل من أصح النصوص وأصدقها . وقد استطاع بفنية عجيبة ان يجمع الأشتات ويوحّد بينها توحيداً مثيراً للاعجاب والامتاع والاقناع . وقد يثور هنا تساؤل : لماذا كل هذا الاهتمام من باكثير بالتاريخ ؟ ولعل الجواب على هذا التساؤل حول اتجاهه الى التاريخ ، انما كان بقصد استحياء مواقف البطولة والكفاح فيه ، ليقدمها في ثوب فني جديد ، يهدف الى اثارة الروح الوطنية ، لمقاومة الاستعمار ويعرّض في الوقت نفسه بالظالمين من الحكام ، متخذاً من التاريخ ستاراً يقيه بطش الجبارين من المستعمرين وصنائعهم من الحكام العرب – وما أشجعهم واقواهم على شعوبهم المنكوبة بهم . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ماقدمناه من رأي له حول التاريخ والاسطورة ، واعانتها الكاتب بما يقدمان من احداث مبلورة .

وهذا الاهتمام بالتاريخ ، والانكباب عليه ، جعلاه يفهم كنه المسرحية التاريخية ، وعوامل نجاحها .

يقول باكثير : فالكاتب « اذ يتناول موضوعاً تاريخياً لاتكون مهمته تسجيل ماحدث في التاريخ كما حدث ، فتلك مهمة المؤرخ ، وأما مهمته فهي ان يخلق في اطار تلك القطعة من التاريخ عالماً جديداً تقع فيه الاحداث ،وتتصرف فيه الاشخاص وتنعقد فيه المشكلات ، وتصدر عنه النتائج ، لا كما اثبتته سجلات التاريخ ، بل بمقتضى الصورة العامة التي تخيلها على ضوء معرفته بحياة ذلك العصر على وجه خاص ، وخبرته بالحياة الانسانية على وجه عام ، مستهدياً في ذلك كله ، بالهدف الذي يرمي اليه ، والرسالة التي يريد أداءها »(١)

وهذا مايزيد عجبنا ببراعته الفنية ، وأمانته التاريخية وحسن تصرفه في توالي الاحداث وسد الفجوات بينها .

٤٨ - من فوق سبع سماوات : مجموعة مسرحيات قصيرة تاريخية نشرها في سلسلة (اقرأ).

٤٩ - شيلوك الجديد .

(١) فن المسرحية : ٣٥

٥٠ - مسرح السياسة

٥١ شعب الله المختار

٥٢ اله اسرائيل

٥٣ التوراة الضائعة

وسنتحدث عن المسرحيات الخمس الاخيرة في الفصل التالي : « فلسطين واليهود في مسرح باكثير » .

هذا هو المطبوع من مسرح باكثير ، اما غير المطبوع فتسعة اعمال هي : قاب قوسين - عرائس و عرسان - الشاعر و الربيع حزام العفة - احلام نابليون - مأساة زينب - فاوست الجديد - ثاني عشرة جلدة - مصعب بن الزبير .

واذا عدنا الى هذ المسرح الخصب، وجدناه الوانا ، فهناك المسرح التاريخي الذي برع فيه ايما براعة ،وهناك المسرح الاجتماعي الذي عالج فيه كثيراً من قضايانا الاجتماعية باسلوبه الساخر الناعم ، وهناك المسرح السياسي ،وكان بارعاً فيه ، لأن هدفه الرئيسي الذي يقوم عليه كفاحه الفني ، انما هو شعوره الحاد بالاخطار الخارجية التي تهدد الامة العربية في حاضرها ومستقبلها ، ومن

هذا القبيل اهتمامه بقضايا العرب والمسلمين الكبرى وخاصة مايتعلق بصراعهم مع الاستعمار بألوانه الشتى .

وهناك المسرح الديني ، والمسرح الأسطوري.ولكن اهم ماتميز به باكثير مسرحه التاريخي ثم مسرحه السياسي المتعلق بمعالجة القضية الفلسطينية كما سنعرض بعد قليل

ب روائية باكثير

الروايات التي كتبها باكثير تمتح من التاريخ ، ثم تقدمه الينا في لوحات فنية بالغة من النفس مبلغا عظيماً ، لانه رجل درس التاريخ دراسة واعية ، والم بمكونات العصر ، ومعالم البيئة التي يدرسها إلماماً رائعا ، فلا هو يجور على التاريخ كتاريخ ولا على الفن كفن ، يقدم حقائق التاريخ في صور فنية زاهية ، استطاع خياله الخصب ان يجمع اجزاءها ويلم شتاتها في براعة فنية مثيرة وهذه الروايات هي :

١ ـ **سلامة القس** : يقول عنها الدكتور محمود حامد شوكت : « تعرض القصة العربية عرضا يتأثر بقصص الحب الغربية ، وفيها يحدث انقلاب في نفس البطل ، وللانقلاب معنى انساني ..

فسلامة مغنية أحبت ناسكاً ، وعبد الرحمن الناسك أحب سلامة المغنية وتحول الحوائل دون إتمام زواجهما الى ان يلتقيا ، وعبد الرحمن يستشهد في ميدان الجهاد . فالفكرة الغربية تتلون بلون اسلامي قوي ، وتتأثر بالمثل العليا الاسلامية ، وتدعو للمبادىء الاخلاقية السامية » .

وقد اتسمت هذه الرواية بوحدة موضوعية وفنية بديعة ، ومُثلت على الشاشة البيضاء ، وقامت أم كلثوم بدور سلامة .

٢ ـ **وا إسلاماه** : رواية تاريخية ، تعتبر من أمتع ما كتب في القصة التاريخية إن لم تكن أمتعها على الاطلاق ، وهي تحكي سيرة البطل العظيم سيف الدين قطز الذي حارب التتر والصليبيين وتصور جانب الجهاد في حياته كأروع ما تكون سير المجاهدين العظام ، وتنتهي حياته على يد رفيق جهاده بيبرس .

٣ ـ **الثائر الاحمر** : رواية تاريخيه تصور عالم القرامطه من خلال حياة حمدان قرمط . وهذه الرواية ردٌ على المبادىء

الزائفة المستوردة ، مباديء الشيوعية ، وهي ذات اسقاطات تاريخية على الواقع ، قدمها باكثير في فنية عظيمة ، قلما نجدها لدى غيره من كتاب جيله أو من سبقهم أو من لحق بهم .

٤ - **سيرة شجاع** : رواية تاريخية ممتعة لا تقل عن اخواتها فنية وجمالاً ،وهي تتحدث عن فترة من فترات الحكم الفاطمي والايوبيين . وهي ترنو الى الواقـــع ، وتنتظر من ينهض من الزعماء العرب والمسلمين لعلهم يقتدون بشجاع بن أسد الدين أو بنور الدين او بصلاح الدين ، (شجاع) الذي يتمنى على زوجته أن تلد له غلاماً بطلاً يجاهد في سبيل الله .

وها هوذا يهدر بصوته في آخر الرواية كأنه آت من عالم آخر :

- انظروا .. انظروا .. ذاك ابني يقود جيش مصر ، أسد الدين ضرغام يقود جيش التحرير .. الله أكبر .. انهزم جيش العدو .. وانتصر جيش مصر .. انتصر العرب .. وانتصر المسلمون .

ح - مترجماته :

سبق أن ذكرنا أنه درس الأدب الانكليزي وتخصص فيه ، وكان أن :

١ - ترجم مسرحية روميو وجوليت لشكسبير بالشعر التفعيلي لأول مرة في تاريخ هذا الشعر .

٢ - ترجم بعض فصول مسرحية الليلة الثانية عشرة لشكسبير ، ونشرها في مجلة الرسالة للزيات ، وكانت ترجمته بالشعر العمودي .

٣ - ترجم (لحظات التجلي) لجورج هربرت .

وهو فيما ترجم ، حافظ على أمانة النصوص ، كما لم ينخل عن فنية ما ترجم .

د - شعره :

سبق أن ذكرنا أنه قال الشعر وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، رثى زوجته ، وانتقد أوضاع مجتمعه، وكتب المسرحية الشعرية ، والقصة الشعرية ، وكان - كما سيأتي - رائد شعر

التفعيلة ، ولكننا نأسف لعدم وصول شعره الينا كاملاً ، بل ما وصل الينا اشتات في عدد من الصحف والمجلات ، ولعل أحد محبيه وتلاميذه ينهضون بهمة جميع ديوانه ، قبل ان يضيع شعره في زحمة السرقات والاهمال .

باكثير رائد شعر التفعيلة

كثر اللغط في الآونة الاخيرة حول بدايات شعر التفعيلة ، الذي سماه بعضهم شعراً حراً ، وبعض شعراً منطلقاً وفريق ثالث : شعراً مرسلاً .

فنازك الملائكة والسياب وباكثير وأبو حديد وابو شادي يزعمون الريادة لأنفسهم ، بينا وجعها صلاح عبـــد الصبور وغالي شكري الى الدكتور لويس عوض ، وناجي علوش وإنعام الجندي الى السياب، والنويهي الى نازك الملائكة والسياب معاً ، أما سيد قطب فانه يرجعها الى نازك .

وسأحاول ـ هنا ـ التعرف الى الرائد الاول لهـــذا النمط الجديد من الشعر ، مناقشاً كلاً من هؤلاء دعوى الريادة لعلي أصيب شاكلة الحق ، أو أكون بذلك قد فتحت باباً

للحوار ينتهي بنا الى الحقيقة التي لا نهدف الى سواها . وسوف ترى ان بحثنا هذا سيقودنا الى الاجابة عن سؤال آخر :

هل لهذا الشعر الجديد جذورٌ عربية تطور منها ، أو أنه منبتُّ الجذور ، مستمد من أصول غريبة عن تربة شعرنا العربي الاصيل ؟ .

ولكنني سأرجيء الاجابة عن السؤال الثاني ، لوهن صلته بموضوع كتابي هذا عن باكثير ، وإن كنت ارى ان الجواب عن ذينك السؤالين قيمة تستأهل بذل الجهد ، للرائد من فضل الاكتشاف العبقري الذي يلهمه بعد المعاناة الشاقة ، والدربة الطويلة المتأنية من جهة ، ولما لمعرفة المنابع الاولى التي استقى منها هذا الشعر من فوائد التأصيل له ، بتخديد الاخاديد من حوله ، تنساب روافد نقية له .

والآن ..

من الرائد الاول لهذا الشعر الجديد ؟

تقول الشاعرة المبدعة نازك الملائكة في كتابها القيّم (قضايا الشعر المعاصر) :

« وكانت بداية حركة الشعر الحر سنة ٩٤٧
العراق ، ومن العراق ، بل من بغداد نفسها زحفت هـ
الحركة وامتدت حتى غمرت الوطن العربي كله ..

« وكانت أول قصيدة حرة الوزن تنشر ، قد
المعنونة (الكوليرا) وهي من الوزن المتدارك (الخبب
« نظمتها يوم ٢٧/١/١٩٤٧ وأرسلتها الى ب
فنشرتها مجلة العروبة في عددها الصادر في اول كا
الاول ١٩٤٧ » ص ٢١ .

وقد احاطت نازك تلك البداية بجو شاعري محب
وتبعها في دعواها مقدم كتابها زوجها الدكتور عبد ا.
عحبوبة ، واعتبرتها نازك مشكلة جديدة من مشكلات د
المنحوس ـ والتعبير الوصفي لها ـ شظايا وهي واثقة
أنها ستكون بداية جديدة في الشعر العربي ، وبأنها قد ،
الشعر العربي شيئاً ذا قيمة .

ولكن نازك تفاجأ بديوان الشاعر بدر شاكر ال
(أزهار ذابلة) يصدر في بغداد في النصف الثاني من الشهر

الذي نشرت فيه قصيدتها (الكوليرا) وفيه قصيدة حرة
الوزن هي (هل كان حباً) وهي من بحر الرمل ، وقد علق
عليها بأنها « من الشعر المختلف الاوزان والقوافي » وذيلها
بتاريخ ٢٩/١١/١٩٤٦ أي قبل نشر (الكوليرا) بأحد عشر
شهراً ، الأمر الذي حدا بالاستاذ ناجي علوش الى جعل السياب
رائد الشعر الحديث بلا منازع ، إذ ليس من المعقول ان تكون
قصيدة السياب قد كتبت في الشهر نفسه الذي نشرت فيه ،
بل لابد أن تكون مكتوبة من قبل (١)

ولعل الناقد البحاثة العظيم سيد قطب ـ تغمده الله
بفيض رحمته ورضوانه ـ استند الى ما زعمته نازك لنفسها من
بداية ، فعدها « رائدة كوكبة من الشعراء في العراق وفي لبنان
يمثلون فجراً جديداً للشعر العربي » (٢) أو أنه لا يعني بالريادة

---

(١) ناجي علوش في مقدمته لديوان السياب « إقبال »
ص ١٦ – ١٢

(٢) سيد قطب ـ النقد الادبي : اصوله ومناهجه
ـ ط ٣ ـ ص ٥٢

هنا كونها أول من اهتم .

أما المرحوم السياب ، فانه يرى أن جنين الشعر الحر الحق ، قد رأى الحياة عام ١٩٤٦ حين اكتشف هو نفسه هذه الامكانية في قصيدته (هل كان حباً) المنشورة في ديوان (ازهار ذابلة) (٣)

وتابع السياب في دعواه هذه ، إنعام الجندي في العدد ١٨٤ من مجلة الاسبوع العربي البيروتية ، كما ادعى علمه بوجود نماذج من هذا الشعر في مجلات متعددة ، ذكر بعضها قبل التاريخ الذي حددته نازك لقصيدتها (الكوليرا) (٤)

وسندع نازك والسياب الآن ، لنقرأ ـ في دهشة ـ ما كتبه الناقد الحاقد غالي شكري في كتابه : (شعرنا الحديث .. الى أين) دون ان يستطيع كبح اهوائه الجامحة التي تلاعبت تلاعباً مقيتاً مزرياً بالحقائق الناصعة التي لا تحتاج في توضيحها الى كبير جهد يُبذل من امرىء متفرغ للدراسات الادبيـــة

(٣) مجلة الثقافة الدمشقية ـ س: ٥ ـ ع : ٦
(٤) مجلة الآداب ـ عدد شباط لعام ١٩٦٣

والسياسية مثله .. فهو لا يستطيع إلا ان يعترف بالبشائر الاولى التي حملت لواءها ترجمة علي احمد باكثير لمسرحية شكسبير (روميو وجوليت) ولكنه يحصر هذه البشائر ضمن (إطار الشكل الشعري المرسل) ويعقب على هذا بقوله :

« إلا أنني لا أميل في صياغة هـذا البحث الى الاتجاه التاريخي الذي يرصد الظواهر حسب ترتيبها الزمني ، بقدر ما اميل الى الاتجاه الموضوعي الذي يلتقط من الظواهر أكثرها تجسيداً للقضية التي نحن بصددها الآن » ص ٣١

ثم لا يلبث أن يعود في الصفحة التاليـة ، بعد بضعة أسطر من كلامه هذا ليقول : « ولعل أولى هذه العلامات التي تقودنا الى مناخ شعرنا الحديث ، هي مقدمـة ديوان (بلوتولاند) ومجموعة التجارب الشعرية التي ضمّها هذا الديوان المنشور عام ١٩٤٧ وإن كانت التواريخ المثبتة في نهاية كل قصيدة تؤكد ان هذه التجارب الشعرية تقع في حياة لويس عوض إبان الفترة التي قضاها في كيمبردج بين عامي ١٩٣٨ ـ ١٩٤٠ أي أنها تسبق كافة الارهاصات والبدايات التي يشـار

اليها أكاديمياً بأنها الاصول الباكرة لحركة الشعر العربي الحديث » ص ٣٢

فكيف لا يميل غالي الى الاتجاه التاريخي الذي يثبت بصورة قاطعة تأخر لويس عوض عن غيره من الشعراء الذين مارسوا شعر التفعيلة ، ثم يعود محاولاً البتّ في أن أعمال لويس في بلوتولاند تسبق كافة الارهاصات والبدايات التي يشار اليها أكاديمياً بأنها الأصول الباكرة لحركة الشعر العربي الحديث ؟ .

أليس في هذا الكلام جرأة أية جرأة على المنهج الذي اختطه لنفسه بادىء ذي بدء ، ليوهم الناس بأنه يبحث بحثاً علمياً بعيداً عن الهوى والمؤثرات الأخر ، وليصرف انظارهم عن الحقائق التي تبدت لهم في شكل تلاميح ، ثم يقرر غير ما بدأ به ؟ .

وسندحض بعد قليل فرية اسبقية لويس عوض التاريخية أما الاتجاه الموضوعي الذي اعتمده الكاتب ، والذي يحاول فيه أن يلتقط من الظواهر أكثرها تجسيداً لقضية ، قضية

الشعر العربي الحديث ، فقد وجد الكاتب من تلك الظواهر العظيمة (!!!) في بلوتولاند :

١ - الثورة الجارفة على القديم الذي مات ، وان كان الكاتب يستدرك فيعتبر الثورة على هذا القديم ليست من البطولة في شيء ، لأنه قد انتهى . وهو في هذا يكرر ما كتبه لويس عوض في الصفحة الأولى من بلوتولاند حيث يقول : « حطموا عمود الشعر ، لقد مات الشعر العربي ، مات عام ١٩٣٣ ، مات بموت أحمد شوقي ، مات ميتة الأبد ، مات » .

وإذا كان الشعر العربي القديم مات هذه الميتة التي يقررها لويس في هذيانه المحموم هذا ، فلم يثور عليه ؟ .

٢ - « أعطى الشاعر العربي لأول مرة حقه في التجريب بمعناه الواسع » ص ٣٢

ولعلك تنتظر - قارئي العزيز - توضيحاً لهذا التجريب - أو التخريب إن شئت - الذي أعطاه لويس الشاعر العربي لاول مرة .. إنه إذن « كسر عمود اللغة »

فتجربة كسر عمود اللغة هي التي هلل لها غالي شكري ، ومن قبله خاله سلامه موسى ، واعتبرها أهم تجربة تستأهل الهتاف والتصفيق وتأثر الخطا ، فقد نظم (الشاعر شعره) بالعامية المصرية لأنه لا يريد « ان يترك المصريون عاميتهم بين جدران التراث الشعبي ، او على ألسنة قلة نادرة من الشعراء الموهوبين كبيرم التونسي » .

المسألة اذن في منتهى البساطة .. (الشاعر) لويس عوض يلهم ـ وما أكثر الملهمين في دنيانا ـ هذه التجربة ، فيعانيها شعراً ونثراً . ويدعو الكاتب المحترم الناس المثقفين ثقافة جادة ، ان يترسموا خطوانها شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع وان يعضوا وهم مستطيعون ذلك ـ عليها بالنواجذ .

ولست ادري ما الذي حفز الكاتب لأنه يدخل كتاب لويس (مذكرات طالب بعثة) في هذا المجال ، مع انه يتحدث عن الشعر العربي الحديث ، وليس عن النثر المكتوب بالعامية المصرية .. هل فعل ذلك ليعرف الناس بهذا الكتاب ؟ او انه فعله ليقول : ان كاتبه يمتلك ناصية

العامية المصرية نثراً ، كما سبق له ان امتلكها شعراً ؟ ان كان هذا يريد ، فنحن نعرف أكثر منه ، فهو الذي دعا ذات يوم الى ترجمة القرآن الكريم الى العامية المصرية ـ ان جاز لنا القول بترجمة القرآن العظيم الى اية لغة من اللغات الحية .

ولسنا الآن بصدد البحث عن الدعاة الى العامية ، وما يرمون اليه من وراء دعوتهم هذه ، فلهذا البحث مجال آخر ، سنحاول فيه تعرية هؤلاء الدعاة ، ودحض ما يستندون اليه من حجج واهية ، هي الى الفرى أقرب (٥)

« ٥ » كتب الاستاذ محمد عيد المعيد بجامعة القاهرة في مجلة الآداب : ١١/٧ مرجعاً السبب في حكم لويس عوض على كتاب نازك حكماً يتردد بين الجودة وعدم البأس والرداءة ، هو أنها أغضبته بادعائها الاولوية لنفسها أولاً ، ثم لما اتسم به كتابها من دعوة الى الفصحى التي يأباها لويس ومن حالفه ثانياً ووصف مقال الناقد لويس بأنه يفتقد الضمير العلمي ، وهو في نفس الوقت يفتقد الضمير الخلقي ، لان روح العلم في جوهرها روح أخلاقية .

كتب الدكتور لويس عوض نفسه ، مترجماً لنفسه ، في الصفحة الأولى من بلوتولاند :

« فمن اجل هؤلاء قال لويس عوض الشعر ، وهو ليس بشاعر ، وهو يعد بألا يكرر هذه الغلطة ولو نفي الى بلاد الخيـــال . وما من شك في أن شعر لويس عوض شعر ركيك » .

هذا ما قاله لويس عوض عن لويس عوض ، ومع ذلك سمى شعره هذا « من شعر الخاصة » ومن حقنا أن نزعم أنه « من شعر خاصة الخاصة » ... ومع ذلك ايضاً يقول غالي شكري بتفاهة لا نظير لها : « فقد عثر ثائر بلوتولاند أخيراً ، لا على شاعر واحد موهوب يقرأ ديوانه ويتأثر به ، ويغير من ألوان حياتنا وألحانها ، بل على شعراء عديدين يتأثرون بجانب دون آخر ، أو بجزئية دون النظرة الشاملة ، ولكنهم جميعاً يدخلون مرحلة التجريب » ص ٣٩

ألم تر الى هذا الغلو الفاحش ؟
ان الكاتب يزعم لنفسه التزام الجانب الموضوعي ، فهل

في هذا الكلام موضوعية ؟

انه يتحدث عن لويس وكأنه يتحدث عن شكسبير أو المتنبي او عن شاعر كبير رائد للشعر الحديث ، ذي نظرة شاملة لا يطولها من عداه من الشعراء ، وكل من جاء بعده مقلد له ، متكىء عليه ، ناهل من معينه .

وأنا أتحدى وأراهن — ان جاز الرهان في مثل هذه المجالات — على ان احداً لم يتأثر بهذا « الديوان » كما ان الذين قرأوه قلة قليلة ، وهو نكرة — في هذا المضمار بالذات — يحاول غالي تعريفها بالترويج لها على هذا الشكل المزري . والا .. فهـــذه كتابات نازك والسياب والدكتور عز الدين اسماعيل والدكتور احسان عباس وغيرهم وغيرهم .. ما لنا لا نقرأ لواحد منهم اي ذكر لهذا الرائد الجاني ؟ ام انهم يريدون غبنه حقه في الريادة ، ام ان المسألة لا تعدو كونها مجرد دعاوة رخيصة له ولسلامه موسى ومن لف لفها ؟

انني انصح جاهلي الدكتور لويس وسلامه وغالي ومن لف لفهم أيضاً ، وجاحدي « افضالهم » ، ان يعودوا الى كتاب

« اباطيل واسمار » للكاتب العملاق محمود شاكر ، ففيه شفاء صدور قوم مؤمنين .

٣ - « رفض المبدأ القائل بقيم نهائية في الشعر ، فحاول استيلاد اوزان جديدة لم تكن مدونة من قبل » ص ٣٤

« وبالرغم من التحرر من كل وزن منتظم ، فموسيقا القصيدتين اللتين كتبهما شعراً منثوراً ادق واعمق من الموسيقا الراتبة في بلوتولاند » ولعل فيها - يقول لويس - بقدر ما في بقية الديوان ، وان كان السبيل الى فهمها هو الأذن المدربة على سماع شوبان وعجلات القطار الغليظة » ص ٣٩

وأنا أفهم من هذا دعوة الكاتب والشاعر الى نوع من الفوضى الشعرية ، لا يرضاها واحد من النقاد او الشعراء ، كما افهم دعوتهما الى ما يسمونه القصيدة النثرية ، وهو ما درجت عليه بعض المجلات المشبوهة في لبنان ، فتصدى لهذه الدعوة المريبة بعض نقادنا ، كاشفين عن زيفها ، وعما ترمي اليه .

و أحب اخيراً ان اهمس في اذن الشاعر المبدع صلاح عبد الصبور الذي زعم الريادة للويس عوض : كيف جاز لك ان تزعم ذلك وانت المتتبع للحركة الادبية ، المطلع على النتاج الشعري الحديث ، **الدارس للشعر القديم ؟**

أما الاستاذ محمد فريد أبو حديد فانه يزعم لنفسه هذا الضرب من الشعر ، فقد جاء في المقدمة الطويلة التي قدم بها ترجمته لمسرحية شكسبير (مكبث) ما يلي :

« ومما زادني إحجاماً عن ذلك العمل - أي ترجمة مسرحيات شكسبير كاملة - أن روايات شكسبير مفرغة في قالب شعري خاص ، هو الشعر المرسل الذي يلتزم فيه الشاعر وزناً واحداً في أكثر الرواية ، بغير أن يتقيد بقافية » ص ٤٦

« ولقد حاولت عدة محاولات في الترجمة والتأليف بهذا الشعر المرسل منذ عشرات السنين ، وكانت أولى محاولاتي في هـذا السبيل ترجمتي للملحمة (سهراب ورستم) (١) عن

(١) عام ١٩١٨

الانجليزية للشاعر (ماتيو أرنولد) وأعقبت ذلك ببعض قصص قصيرة ، ثم بقصة (خسرو وشيرين) ص ٤٧

ولكن الحق أن الشعر الحر « يختلف اختلافاً أساسياً عن الطريقة التي سلكها كثير من الشعراء المحدثين كالزهاوي وأبي حديد وغيرهمـــا مما اسموه الشعر المرسل ، فالنظم على طريقتهم لا يختلف عن النظم العربي القديم إلا في إرساله من القافية . وإذا اتفق أحياناً ان البيت ليس بوحدة فيه من حيث المعنى أو الاعراب ، فانه على أي حال ، يكون وحدة مستقلة من حيث النغم الموسيقي ، أي أن النغم لا يطرد في بيتين ، بل ينقطع عند نهاية البيت الأول، ويبتدىء من جديد في أول البيت التالي ، وهكذا دواليك » (٢)

وقد سبق قبل قليل قول أبي حديد عن الشعر المرسل ، حيث يلتزم الشاعر فيه وزناً واحداً في أكثر الرواية بغير أن

(٢) باكثير ـ اخناتون ونفرتيتي ط ٢ ـ ص ١٣
وهذا ما ذهب إليه الدكتور عز الدين اسماعيل في التعليق على شعر شكري .

يتقيد بقافية . وهــذا غير ما نعرفه الآن عن الشكل الجديد للشعر الحر الذي سمّي شعر التفعيلة . والذي « هو شعر ذو شطر واحد ، ليس له طول ثابت ، وإنما يصح أن يتغير عدد التفعيلات من شطر إلى شطر » (٣)

وليس بالشعر غير المقفى الذي جاء به أبو حديد وعبد الرحمن شكري الذي زعم له الشاعر مختار الوكيل الريادة في كتابه (رواد الشعر الحديث في مصر) ص ٤٦ ومن هـــذا القبيل ما كان يفعله ويدعو إليه الدكتور أحمد زكي أبوشادي ، غير أن أبا شادي أجرأ من غيره في تشجيعه الشعر المرسل ، والشعر الحر وتنويع الاوزان ، والابتداع فيهـــا ـ الشفق الباكي ص ١١٤٠ ـ وبتحسسه الطريق الى الشعر الجديد . ولكن التوفيق خانه ، كما خان جماعة أبولو في هذا المجال ،

فقد اعتبر أبو شادي الشعر الحر هو الشعر المطلق من القافية ، الممزوج البحور ، ونظرة في قصيدته (الفنان) التي نظمها عام ١٩٢٦ في ديوانه (الشفق الباكي) ص ٥٣٥ ترينا

(٣) نازك الملائكة ـ قضايا الشعر المعاصر ـ ٥٨

أنه استخدم في المقطع الأول البحر الطويل ، ثم انتقل الى المتقارب في الثاني والثالث ، ثم انتقل الى المجتث في الرابع والخامس ، ثم انتقل الى البسيط ... الخ .. كل هذا في قصيدة واحدة . وهذا ما يأباه الذوق الجديد في تقعيد القواعد التي كاد يستقر عليها الشعر الحر . وكذلك فعل الشاعر خليل شيبوب في قصيدته (الشراع) حيث مزج بين البحر البسيط والبحر الطويل ، متعاقبين في كل بيتين من المقطع الأول ، ثم انتقل الى بحر الرمل في المقطع الثاني . وقد نعى أبو شادي على « أولئك الشعراء والشواعر ومن يؤخذون بسحرهم ، اذ قد يتوهمون أو قديتوهم البعض أن الشعر محصور في نماذج أشعارهم تلك ، وهي نماذج لم أعدم مثيلات ماهـــدة من طرازها في دواويني ومؤلفاتي » (١)

ومع شيء من التحفظ يمكن ان نستسيغ كلام الدكتور كمال نشأت عن النماذج التي وردت عن أبي شادي وشيبوب ، إذ يقول : « وليس من شك في أن هذه الخطوات الرائدة هي

«١» قضايا الشعر المعاصر : ٧

التي وضعت أسس حركة الشعر الحر ، التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية » (١)

والسبب في هذا التحفظ هو ان الدكتور ابا شادي كان يمزج بين البحور - كما بينا - ويستخدم البحور الممزوجة غير الصافية مع تحلله التام من القافية في شعر غنائي .

والآن بقي علينا أن نتعرف على الرائد الأول .

لقد ترجم الشاعر المسرحي علي احمد باكثير مسرحية « روميو وجولييت » متحدياً بها استاذه الانجليزي الذي تحدث ذات يوم من الشعر المرسل ، وكيف ان اللغة الانجليزية اختصت بالبراعة فيه ، والتفوق على سائر اللغات ... ثم قال ومن المؤكد ان لا وجود له في لغتكم العربية ، ولا يمكن ان ينجح فيها » «٢» فما كان من الاستاذ باكثير الا ان يتحدا بنظم فصل من « روميو وجولييت » ثم ترجم المسرحية كلها على هذا النمط الجديد عام ١٩٣٥ وفي عام ١٩٣٨ كتب مسرحية

«١» أبو شادي وحركة التجديد :
«٢» باكثير - محاضرات في فن المسرحية : ٤ - ٥

« اخناتون ونفرتيتي » شعراً حراً ايضاً لم يلق ترحيبا الا من الاستاذ المازني الذي قدّم لها ، والاستاذ اسعاف النشاشيبي الذي ابدى كبير اعجابه بهذه المسرحية ، حتى نظم قصيدة على منوال هذا الضرب من الشعر الجديد الذي مسّ وتراً في قلبه. وقد ذكر الاستاذ باكثير في مقدمتها ان الشاعر السياب كان يذكر له هذا السبق في كلمات الاهداء التي كان يخطها على كتبه المهـداة لباكثير . **وقد شرح باكثير طريقته في هذا النظم الجـديد فقال :**

« والنظم الذي تراه في هذا الكتاب هو مزيج من النظم المرسل المنطلق ، والنظم الحر ، فهو مرسل من القافية ، وهو منطلق بانسيابه بين السطور . فالبيت هنا ليس وحدة ، وانما الوحدة هي الجملة التامة المعنى التي قد تستغرق بيتين او ثلاثة او اكثر ، دون ان يقف القارىء الا عند نهايتها . وهو – اعني النظم – حرٌ كذلك بعدم التزام عدد معين من التفعيلات في البيت الواحد ، ولست اقصد بهذا البيان التحديد الاصطلاحي لهذا الضرب الجديد من النظم ، وانما قصدي ان

اعطي القارىء فكرة عامة عنه قد تساعده على تذوقه » «١»

« وقد وجدت ان البحور التي يمكن استعمالها على هذه الطريقة هي البحور التي تفعيلاتها واحدة مكررة كالكامل والرمل والمتقارب والمتدارك .. الخ . اما البحور التي تختلف تفعيلاتها كالخفيف والطويل .. الخ .. فغير صالحة لهذه الطريقة ، فكان ان استعملت البحور الصالحة كلها في ترجمة روميو وجولييت ، ثم لاحظت ان اصلح هذه البحور كلها ، واكثرها مرونة وطواعية لهذا النوع الجديد من الشعر هو البحر المتدارك ، فالتزمته في هذه المسرحية » «٢»

وفي ظني ان نازك الملائكة قد استفادت من هذا الكلام عندما كتبت في كتابها القيم : (قضايا الشعر المعاصر) عن العروض العام للشعر الحر ص ٥١ وما بعدها ، فقد اتفقت مع باكثير اتفاقاً تاماً ، وهو السابق لها بسنين عدة ، ولكنه – فعل الرائد – ذكر ما ذكره عرضاً . اما هي فقد درست فأبدعت . وهكذا نخلص الى ان الرائد الأول للشعر الحر هو علي احمد باكثير ، لأنه اول من استخدم التفعيلة في البيت ،

(١) روميو وجولييت ٢ :
(٢) اخناتون ونفرتيتي : ط ٢ ص ١٢ و ١٣

واكتشف البحور الصافية، وميزها من غيرها من البحور المزدوجة التفعيلة، كما اهتدى الى صلاحية بعض البحور في النظم المسرحي دون بعض. واما انه تحلل ـ او كاد ـ من القافية، فخير جواب على ذلك قوله الذي اصاب شاكلة الحق، فقد جاء في محاضراته عن (فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية) التي القاها على طلبة معهد الدراسات العربية العالية ما يلي ـ بعد ان ذكر نماذج من مسرحية اخناتون ونفرتيتي ـ:
« في هذه النماذج ترون الجمل المسرحية في معظمها طويلة منسرحة يمكن ان يلقيها الممثل في نفس واحد لو استطاع، وقد تبصرون فيها القافية احياناً، ولكنها لا تجزىء الصورة، ولا تتلاحق في رتابة وجمود، بل تظهر هنا وهناك في ومضات كالبرق الخاطف، فتضاعف موسيقية الجملة المنطلقة دون ان تحبسها او تحدّ من انطلاقها وانسيابها حتى منتهاها » ص ١٢

كأنه يرى أن القافية لا تصلح دوماً للشعر المسرحي، حتى لا تتجزأ الصورة، أو تتلاحق في رتابة وجمود، وهذه بصيرة نافذة في إدراك مكان القافية من الشعر التمثيلي والشعر الغنائي، وهو ماسار على منواله من تلاه من الشعراء المسرحيين من امثال عبد الرحمن الشرقاوي وصلاح عبد الصبور.

فلسطين واليهود

قبل أن يتوفى باكثير بقليل، ألقى محاضرة قيمة في مؤتمر الأدباء العرب السابع الذي انعقد في بغداد عام ١٩٦٩ بعنوان: (دور الأديب العربي في المعركة ضد الاستعمار والصهيونية) حدد فيها مهمة الأديب العربي في مواجهة الصهيونية والاستعمار وقدّم بعض المقترحات الهامة البناءة. وقد ارتأى فيها: أن أمام الأديب العربي مجالين للعمل، المجال العربي أو المحلي، والمجال العالمي. ولكل منهما أسلوبه. وركز على الأصالة العربية التي تمنع الاديب العربي من أية تبعية فكرية أو سياسية أو أدبية الى شرق او غرب.

هذا في اواخر ايامه، اما في بدايات حياته الفنية، وعبر تلك الحياة، فهو باكثير الذي يؤرقه ما تلقاه امته على أيدي شذاذ الآفاق، وإذا هو يرود معامع الكفاح السياسي بسلاح الأديب، وليس للأديب سوى قلمه يسوط به الآثمين أعداء الحق والخير والحرية وكل القيم الانسانية، واذا هو أول من عالج

القضية الفلسطينية ، بل هو الرائد،في عدد كثير من مسرحياته الطويلة والقصيرة ، في وقت مبكر ، لم يكن الشعب العربي قد تنبه الى حقيقة الخطر الصهيوني الأخطبوطي على وجوده ، فقد كتب خمس مسرحياته طويلة تعالج هذه المشكلة قبل وقوع النكبة وبعدها .

كتب قبل وقوع النكبة مسرحية (شيلوك الجديد) وهي مسرحيتان في كتاب واحد ، كتبتا عام ١٩٤٤ ونشرتا معاً عام ١٩٤٥ ، وكانت الأولى بعنوان (المشكلة) وتتألف من أربعة فصول ، والثانية بعنوان (الحل) في ثلاثة فصول .

مسرحية المشكلة :

تدخلنا في جو النكبة قبل وقوعها بثلاث سنين ، اذ فيها رصد أمين ، ودراسة متكاملة لما كان يجري في تلك الحقبة ، بأسلوب فني رفيع . ولعل هذا يعود الى اهتمام باكثير بقضية فلسطين ، فقد كانت تشغله ، فيتابعها فيما يكتب عنها في الصحف والمجلات والكتب . وذات يوم قرأ أن الزعيم الصهيوني (جابو تنسكي) خطب في مجلس العموم البريطاني ، فضرب

المنضدة بيده وقال : (أعطوني رطل اللحم . لن نتزل ابداً عن رطل اللحم)مشيراً بذلك الى الوعد الذي قطعه بلفور لليهود، باعطائهم وطناً قومياً في فلسطين ، فاهتبلها باكثير فرصة ، ورأى في هذا القول حجة على اليهود لا لهم ، فكتب مسرحية (شيلوك الجديد) .

في الفصل الأول من (المشكلة) نرى خليل الدواس ، بعد أن يفقد أملاكه ويبيعها لليهود ، يصبح قواداً عندهم ، فيقود راشيل ـ الفتاة اليهودية اللعوب ـ الى عبد الله الفياض ، لقاء أجر مادي تافه ، هو خمسون جنيهاً ، وحين يتم استيلاء اليهود على أملاكه يأخذ مئتي جنيه .

كما نرى في الفصل الثاني الصهاينة ـ وفي مقدمتهم شيلوك ـ قد سلطوا على عبد الله الفياض فتيات يهوديات أخريات ، وجروه الى موائد القمار ، الامر الذي اوقع عبد الله في حرج مادي ، مما سهّل على شيلوك ، بالتواطؤ مع المحامي اليهودي البارع « كوهين اسحاق » ، أن يوقعا عبد الله على صك يبيع بموجبه كل أراضيه لهم ، لقاء كمبيالات تسحب على دفعات .

ويسرع شيلوك باستعمار الفدادين المشتراة ، وبتوطين مئتي مهاجر يهودي بولوني .

ويطلعنا هذا الفصل على نمط نذل من همجية الصهاينة ، اذ نرى عصابة الحامية اليهودية تعتدي على ابراهام اليهودي الشرقي وعماله ، لأنه استخدم عمالاً من العرب في معمله . هذه واحدة ، والجريمة الاخرى تظهر في دخول رجل البوليس اليهودي على كل من شيلوك وكوهين وابراهام متنكراً ، ويفتعل اطلاق رصاصتين على الجدار بجوار شيلوك من مسدس ابراهام بعد أن استخلصه منه بحيلة ـ ثم يلقي القبض على ابراهام بحجة اطلاقه النار على شيلوك . وفي هذه الاثناء يدخل ضابط البوليس « كساب جاد » مع حارسيه ، ويتبين لنا بعد قليل من الحوار ، أن ضابط البوليس اليهودي « زينكاخ » كان قد ارتكب جريمة قتل الشيخ سعد مع أفراد أسرته ، لانه رفض ان يبيع عزبته لليهود . ويساق زينكاخ الى مركز البوليس ، ومعه أبراهام ، من اجل استكمال التحقيق ، ويفرح كوهين وشيلوك لان العزبة اصبحت في متناول ايديهم . ثم يتدبر كوهين وشيلوك امر زينكاخ ، باتهام احـــد الشباب اليهود

الارهابيين بحادث القتل ، واعتراف ذلك الارهابي اليهودي ، لتكون هذه مطية للطعن بكساب جاد ، وإزاحته عن مأمورية البوليس ، فيما يبقى زينكاخ وبقية الضباط اليهود في البوليس ، ليقدموا خدماتهم للصهاينة .

وفي الفصل الثالث يستقيل ميخائيل جاد من رئاسة البلدية ، بعد ما لقي الألاقي من الموظفين اليهود الذين يعملون معه ، ويصبح محامياً ، ثم لا يلبث ان يلحق مع اخيه كساب ـ ضابط البوليس ـ وعبد الله الفياض ـ الذي عاد نادماً على خيانته نفسه ووطنه وحبيبته المصرية ، بتملقه بتلك الفتاة اليهودية « راشيل » التي سلبته ماله وارضه ، ولم يبق معه الا القليل من المال ... ـ يلتحق الجميع بالمجاهدين في الجبل ، ويتخلف كاظم بك ، لأن فوزي بك وزوجته سلمى وبنته نادية ـ خطيبة عبد الله ـ قد جاؤوا من مصر ، ونزلوا ضيوفاً عنده . وفي هذا الفصل مشهد توبة عبدالله الفياض ، ووداعه لخطيبته نادية ، وهو مشهد مؤثر .

وفي الفصل الرابع يجتمع اليهود الخمسة الكبار في

مكتب شيلوك ، وهم : شيلوك الرأس المدبر ، وكوهين المحامي القانوني الذي لا تعجزه قضية ، وبنيامين رئيس الدعاية اليهودية ، وجوزيف رئيس الجمعيات الارهابية ، وجاك رئيس لجنة شراء الاراضي . ويكون بينهم حوار طريف ، ولكنه يشير الى ذهنية المسرحية ، وبطء حركتها ، وانحدار الصراع فيها وسكونه .. يتحاورون حول مستقبل علاقتهم مع بريطانيا ، وحول سياسة العنف أو اللين الواجب تعاملهم معها ، وحول الجامعة العربية التي أوشكت ان تنهض على اقدامها ، والحرب الاوربية ، وتحليل عدم انحياز العرب الى النازيين ، وحول الدعاية واليهود اللاصهيونيين ... كل ذلك في حوار بارد ، ولكنه يلقي أضواء كاشفة على التيارات السياسية والفكرية السائدة آنئذ في عقول العرب واليهود والبريطانيين على حد سواء .. وهذا ما يجعلنا نقول : إن الدارس لتلك الحقبة ، لاغنى له عن الاطلاع على ما كتبه باكثير ، ففيه تلخيص مكثف ودقيق لأهم ما كان يجري أو يدور وراء الكواليس .

وهكذا نستطيع أن نرى أن باكثير قد أبرز عدداً

من القضايا في هذه المسرحية ، منها :

١ ـ عامل الجنس في تفليس العرب ، كافلاس خليل الدواس حتى لم يعد في جيبه جنيه واحد ، وكان لا يخرج الا وفي جيبه مئة جنيه ، وكوقوع عبد الله الفياض في شرك راشيل وأخواتها اليهوديات اللاتي يستخدمن جمالهن في سلبه أراضيه ، واليهوديات أسهل وأطوع .

٢ ـ أصابع اليهود تلعب في كل شأن من شؤون فلسطين حتى في القضاء .

٣ ـ تسلط الموظفين اليهود على العرب ، وتغطرسهم ، وكأن البلاد بلادهم هم ، وكأن العرب غرباء . ويظهر هذا في تسلط شيلوك ومكاتبه ووكلائه من المرابين لاقراض الفلاحين بالربا الفاحش حتى تسقط أراضيهم في أيدي اليهود ، ومن اجل هذا ألفوا مصرف التسليف الزراعي . حتى اضطر أبو ميخائيل الى الاستدانة بالربا من شيلوك ووكلائه . كما يظهر في تحكم الموظفين اليهود برؤسائهم العرب ومجالس ادارات الشركات والدوائر ، اذ يرفضون التحدث الا بالعبرية ، مع انهم

يجيدون لغة البلاد الاصلية « العربية » مما اقتضى ايجاد المترجمين.

٤ ـ فرض اللغة العبرية لغة ثالثة في البلاد الى جانب اللغتين : العربية والانكليزية .

٥ ـ مدارس العرب تديرها أيد اجنبية ، بتخطيط يهودي ، من اجل إفساد الاجيال العربية الصاعدة .

٦ ـ المنطق السائد هو المنطق الصهيوني .

٧ ـ جر ابناء الاسر الموسرة الى الموائد الخضر .. موائد القمار ، فليس كمثلها وسيلة في طي المسافات الشاسعة امام شركة شراء الاراضي اليهودية .

٨ ـ تحبيذ الخمرة للعرب ، والمترفين منهم خاصة .

٩ ـ عدوان العصابات الصهيونية على أبراهام ـ يهودي شرقي ورمز لكل من يخالف الصهاينة ـ لأنه يقف ضد العصابات الصهيونية التي زعمت أن اليهود أمة ، بينما يعتبرها هو خرافة كبيرة ابتدعتها عقول صغيرة ، لأن اليهودية دين لا أمة . ولأنه يشغل العمال العرب في معمله .

١٠ ـ التفريق في الاجور بين العمال العرب وبين العمال اليهود .

١١ ـ سعي اليهود لابادة العرب .

١٢ ـ تناسيهم فضل العرب عليهم عبر التاريخ . فيذكرهم به .

١٣ ـ ويحذرهم من أن بريطانيا لن تستمر في تدليلهم، وحينئذ يلقون مصيرهم « وهذه رؤيا مستقبلية » .

وانا اعتقد ان اليهود من اذكى الشعوب ، إن لم يكونوا اذكاها ، ولكنهم كانوا اغباها في اقامتهم في فلسطين؛ فقد يستمرون عشرات السنين ، قرناً او قرنين ـ لاسمح الله ـ ولكنهم سيلاقون حتفهم حتماً على ايدي المسلمين ؛ البحر المتلاطم الذي يحيط بهذه الجزيرة الصغيرة التي يدعونها ظلماً « اسرائيل » عندما تتهيأ للعرب سبل النصر : القادة المخلصون والجيل المتميز .

١٤ ـ تطالعنا آراء متضاربة حول سياسة العنف والارهاب التي تقوم بالاغتيالات والتدمير ، وسياسة التآلف

والمساعدة التي كان من نتيجتها تأليف اللواء اليهودي الذي كان النواة الاولى للجيش الصهيوني .

١٥ – كما يرصد التيارات المسيطرة على الزعماء الصهاينة واتجاهاتهم نحو العنف والدعاية وقيمتها في تحويل الرأي العالمي ، ولجان شراء الأراضي العربية ، وما كان يقوم به العرب من إنشاء مكاتب الدعاية العربية ، ومشروع صندوق الأمة لانقاذ أراضي فلسطين .

مسرحية الحل :

مكانها : محكمة القدس .

زمانها : المستقبل .

في الفصل الأول : تذكير بتاجر البندقية – مسرحية شكسبير – وما كان من أمر ذلك اليهودي المرابي شيلوك مع أنطونيو ورطل اللحم ، وكيف أن شيلوك الجديد يتهدد بخيال شكسبير المريض ، ويطالب بهذا الرطل ، ويفصح بأنه يريد التهام البلدان العربية كلها ، لا فلسطين وحدها .

ويتصدى له مندوب عرب فلسطين المحامي ميخائيل

– رئيس بلدية القدس المستقبل في (المشكلة) – فيفند المزاعم الصهيونية ، ويندد بوعد بلفور ، وباليهود الذين استغلوا ظرف بريطانيا في مقاومتها للنازيين ، فأضطروها لذلك الوعد المشؤوم. ويذكر اليهود والعالم بالمعاملة الطيبة التي لقيها اليهود عبر الزمان من العرب ، فيما كانت سائر الشعوب تضطهدهم وتذلهم ، ويتساءل : ترى .. هل كانت تلك الشعوب على حق في اضطهادهم ؟ وهل كان العرب مخطئين في الاحسان إليهم ؟ كما يرد على مزاعم شيلوك في أن الكتاب المقدس يؤكد قيام مملكة إسرائيل العظيمة في فلسطين ، وأنهم حملة الكتاب المقدس ، ويسقط حقهم التاريخي المزعوم ، ويقترح فيصل – ممثل الجامعة العربية – أن يكون لهم وطن في استراليا أو سواها ، ولكن الصهاينة يرفضون هذا العرض ، ويضيف كوهين : لقد عرض علينا مثل هذا في اوغندا عام ١٩٠٣ فرفضناه لأننا لا نريد إلا فلسطين .

وفي الفصل الثاني تتابع المحكمة جلساتها ومناقشاتها ، وتبدو العقلية اليهودية كما كانت وكما رسمها شكسبير منذ بضعة قرون ، كما تبدو المناقشة عبثا . والكاتب هنا يستطلع

المستقبل من خلال دراسة الماضي ، وكأنه يتوقع ما سيحدث ، وقد حدث ، وخاصة عندما بشّر بالمقاطعة الاقتصادية للدولة المسخ ، لأنها وحدها ستكون القاضية ، وبلا سلاح .

وفي الفصل الثالث الذي يجري بعد سبع سنوات عجاف ، يستصرخ اليهود دول العالم لتنقذهم من الكارثة الاقتصادية التي حلت بهم ، ويرضون بتصفية القضية الفلسطينية وإرجاع فلسطين الى العرب ، على ان تعود العلاقات بين اليهود والعرب كما كانت من قبل .

وهنا تكون نادية ـ زوجة عبد الله الفياض ، ومندوبة الجامعة العربية ، كما كانت بورشيا في تاجر البندقية ـ حمامة السلام في المجلس ، فتعطي قرارها في هدم تل أبيب ، سدوم القرن العشرين ، وعلى اليهود أنفسهم أن يقوموا بهذا الهدم ، كشرط أساسي لقبول الصلح مع اليهود ، وخلال سبع سنين ، هي عمر دولتهم البائدة . ويقبل كوهين ، على ان تعطيهم بريطانيا وطناً جديداً في استراليا . وتنتهي المسرحية بانتحار شيلوك .

ترى أية رؤيا مستقبلية هذه ؟ وأي استشراف للمستقبل هذا ؟

ترى .. هل كان في وسع إسرائيل أن تستمر أكثر من سبع سنين ، لو أحكم العرب الحصار الاقتصادي حولها على أقل تقدير ؟

أراد باكثير ان يقول : ان فلسطين عربية ، ولا يمكن أن يقتطع منها وطن قومي لليهود ، دون أن يسيل الدم من الشرق العربي كله .

ولعل باكثير يرى قيام الساعة بعيداً ، حتى جعلهم يأملون في وطن قومي جديد في استراليا ، وأراه قريباً .. وأرى قيام دولتهم المسخ اسرائيل على الارض المقدسة (فلسطين) من أشراط الساعة ، حيث تجمع ويتجمع اليهود في فلسطين ، ليطبق عليهم المسلمون ذات يوم .. يوم يصبح المسلمون مسلمين حقاً .. ولكن .. كما قال احد زعماء الصهاينة : « في كتبنا المقدسة سيكون قتلنا على أيديكم ، ولكن صفات اليهود المذكورة في كتبنا غير متوافرة فينا

نحن يهود اليوم ، وصفات المسلمين التي ذكرتها كتبنا غير متوافرة فيكم مسلمي اليوم ، ولكن فساد الصهاينة وافسادهم سيستشريان أكثر مما استشريا الآن ، حتى يكونوا المعنيين بالقتل ، كما أن بوادر صلاح المسلمين تتلامح في هذه القواعد الصلبة التي بدأت تتركز في أنحاء المعمورة .. وعندما تتم المعادلة ، تكون الطامة على ابناء الأفاعي .

هذا وقد لفت باكثير الأنظار اليه والى أدبه الذي يطرح قضايا ما كانت لتخطر على بال الآخرين ، واذا عددٌ من الادباء والنقاد يستقبلون ما يقدم لهم بحفاوة ، فيما يعرض الآخرون ، ويصعّرون وجوههم ، لما في قلوبهم من مرض ، وبمناسبة صدور (شيلوك الجديد) كتب أحد النقاد :

« هذه كلمة انصاف واجبة ، فليس من ريب في أن الأستاذ علي أحمد باكثير أديب مخلص من قمة رأسه الى اخمص قدمه ، وان ماضيه في الانتاج ، وهو ماضٍ لا شك زاخر ، يبعث على الرضى ، أقلُّ من مستقبله المرتقب ، كأديب ممتاز من أدباء العربية النابغين ، وكاتب من كتابها المبرزين . وانه

لما يستلفت النظر حقاً أن يكون هذا الكاتب كثير الانتاج ، جيده معاً ، ففي السنوات الثلاث الأخيرة استطاع أن يؤلف باقة متنوعة العطور من الكتب الممتعة ، فقرأنا له كتاباً عن اخناتون ونفرتيتي ، وآخر عن سلامه ، وثالثاً عن قصر الهودج ، ورابعاً بعنوان وااسلاماه ، وخامساً باسم الفرعون الموعود ، ونذكر ذلك كله بمناسبة كتابه الأخير (شيلوك الجديد) وهو فوق ذلك ، يعدنا بما لا يقل عن ستة كتب جديدة يذكرها في ذلك الكتاب الحديث .

وإذا كنا رأيناه في كتبه الماضية يقص التاريخ قصة الفن ، ويصور صفحات منه في لوحات غنية بألوانها وصنعتها ومشاهدها المتقدمة والمتخلفة ، أو يجعل قصته نازعة منزع التاريخ ، دون ان يجور على حقائقه ، او يتلف الصورة التي يجمع أجزاءها خياله الخصب ، فانه في هذا الكتاب يجمع ذلك كله ، الى جانب علاج فيه اجتهاد لمشكلة فلسطين . ففي هذه الصفحات التي تستهوي الفنان ، يجد المواطن العربي وجعاً لما في نفسه ، وصدى لما يعتلج في صدره ، في شأن فلسطين التي

ظنت الصهيونية الطامعة انها وقعت لها فريسة سهلة الالتهام .

في هذه الصفحات التي كتبها صاحبها بحرارة تلفح وجه القارىء وهو يطالعها ، وتثير في نفسه غضبة جامحـــة للعزة المستباحة ، والحق المهدر ، نجد صورة صادقـة جلية للحيل والأحابيل التي تعتمدها الصهيونية لطرد عرب فلسطين من ديارهم ، وافساد الامر فيما بينهم ، والاستيلاء على أرضهم . كل ذلك بوسائل تستقل بها الصهيونية ، ولا يستطيع ان يستقل بها سواهـا . ولقد جمل الكاتب حديثه في كل ذلك ، في مسرحيتين متلاحقتين ، الاولى بعنوان (المشكلة) ، وهي في اربعة فصول ، والثانية بعنوان (الحل) في ثلاثة فصول ، بسط فيهما معاً قضية فرد ، وقضية اسرة ، وقضية وطن ، تجمعها كلها جامعة الجهاد في سبيل القومية والتحرر وردّ العدوان . ومهما يختلف المرء مع المؤلف في بعض الآراء التي ساقها في كتابه ، فانه لا يسعه الا ان يعجب بايمانه وحماسه وصدقه وبجمل ادراكه لمختلف الظروف والاتجاهات ، ويقظته المستديمة التي تكفل له ألا يلتوي عن هدفه البعيد المجيد .. مثل هذا الكتاب

يجدر بكل قارىء عربي ان يقرأه ، فسيعرف منه مالم يكن يعرف . ويجدر بنا ان نقدر صاحبه من اجله خاصة ، ومن اجل كتبه عامة ، عظيم التقدير ، فما اجله من كتاب ؛ وما احقّ مؤلفه بوفور التوفيق » .

مسرح السياسة :

كتاب يضم مجموعة مسرحيات سياسية ، تصور فنياً ، الكفاح العربي ضد الاستعمار . ويتألف مسرح السياسة من عدة مجموعات ، نشرت منها المجموعة الاولى ، وكانت قد كتبت فيما بين ١٩٤٥ – ١٩٤٨ . وتتألف هـذه المجموعة من اثنتي عشرة تمثيلية سياسية ، في مئة واحدى وسبعين صفحة من القطع العادي .

١ – نقود تنتقم :

تمثيلية سياسية من فصل واحد ، يتشعب الى ستة مشاهد ، تنتقل بين منزل امين سر هيئة الامم المتحدة ، ومستشفى الامراض العقلية ، وديوان هيئة الامم المتحدة .

في المشهد الأول تحذر الزوجة زوجها أمين السر من عاقبة تعاطفه مع اليهود ضد العرب في قضية فلسطين ، لأنها سمعت النقود العربية في خزائنه الحديدية تهدد بالانتقام منه ، فيسخر زوجها أمين السر من اوهامها .

وفي المشـــهد الثاني يرفض أمين السر تقرير الأطباء في مستشفى الامراض العقلية بأن الزوجة سليمة العقل ، وبأنه قد يمرض هو إن أصرت على أوهامها ، فيدعوه كبير الأطباء إلى التأكد من سلامة عقله .

وفي المشهد الثالث نشهد أمين السر على فراش المرض، يعاني من انتقام النقود العربية في أحشائه ، على شكل عسر هضم ، برغم زيت الخروع الذي يقترح الطبيب المزيد منه ، ويتهم زوجته بأن في عروقهـــا دماً عربياً ، حين تلح عليه بالكف عن معاداة العرب ، حرصاً على صحته وسمعته .

وفي المشهد الرابع يتداول أربعة أطباء في استعصاء الطعام لدى أمين السر على المسهلات ، كأن للطعام عقلاً يفكر

حين يلتصق بالأحشاء ، حتى يمر زيت الخروع وحده ، ولا دواء لديهم إلا المزيد من هذا الزيت .

وفي المشهد الخامس يظهر موسيه شرتوك ، مندوب دولة العدو الصهيوني في هيئة الأمم ، ليعود أمين السر ، ويعاتبه على فتور همته ، وقد أصبح مشروع تقسيم فلسطين في خطر ، فيدافع أمين السر عن نفسه ، ويطالب بالتعويض عن مرضه، فيعده شرتوك باستيراد باخرة من زيت الخروع له، لكن شرتوك ينصرف مغاضباً ، لما صور أمين السر انحباس فضلات الطعام في جوفه ، كانحباس المهاجرين اليهود في فلسطين بين نيران العرب ، ونيران الارهابيين اليهود .

أما في المشهد الاخير فيقابل أمين السر صراف هيئة الامم على انفراد ، طالباً منه عزل النقود العربية من راتبه ، لأنها انتقمت من جهازه الهضمي ، وبدأت تنتقم من جهازه الدموي بعد اخفاق العلاج ، ويقترح على الصراف أن يحذو حذوه ، من باب النصيحة ، فيضحك الصراف مستغرباً ،ويعده بكتمان هذا الاجراء العجيب .

هذه المسرحية من بواكير باكثير ، التي عالجت مشكلة اليهود في فلسطين ، وقد انتقى لها موضوعاً طريفاً حقاً ، اذ صور أثر النقود العربية في رجل مسؤول ، يتعاطف مع أعداء العرب في هيئة الامم . وطرافة الموضوع ناشئة من وثبة خيالية جسّد فيها الكاتب دفاع العرب عن حقهم المستباح . وقد هدف باكثير الى تحذير عملاء الصهاينة من انتقام العرب ولو بالنقود . والانتقام بالنقود كان رؤيا مستقبلية أيضاً ، توقعها باكثير قبل ظهورها . وها نحن أولاء اليوم نشهد العرب ينتقمون من خصومهم بسلاح النفط أبعد انتقام واروعه ، وألف آه لعدم استمرارهم في هذا الانتقام . كل هذا في أسلوب فني ساخر ضاحك ينفجر بالفكاهة النابعة من حقده وسخطه على أمين سر الامم المتحدة الذي كان يتحيز لليهود تحيزاً صارخاً يستفز الاعصاب .

ويحدثنا باكثير عن هذا اللون من الكتابة السياسية فيقول :

« كان أول ما اكتشفت هذه القدرة عندي ، حين

كتبت تمثيلية من فصل واحد عن الرئيس الامريكي السابق (ترومان) الذي تمت على يده مأساة فلسطين ، وكان عنوانها (سأبقى في البيت الابيض) وقد شجعني نشر هذه التمثيلية ونجاحها على مواصلة هذا الاتجاه السياسي ، فكتبت ما يزيد على سبعين تمثيلية عن مختلف القضايا العربية والاسلامية ، كان معظمها يفيض بالسخرية ، حين كنت أتناول الشخصيات الاستعمارية من امثال تشرشل وترومان والجنرال سمطس ، وكذلك أعوان الاستعمار وأذنابه من حكام العرب او ساستهم.»

٢ ـ السكرتير الأمين :

تجري احداث هذه التمثيلية في منزل سكرتير عام هيئة الامم المتحدة بلِك ساكس وتتألف من أربعة مشاهد . وشخصياتها هي : السكرتير وزوجته وشرتوك ـ وهي نفسها الشخصيات الواردة في التمثيلية السابقة (نقود تنتقم) . وتتحدث التمثيلية عن عمالة السكرتير العام لكل من الوكالة اليهودية والجمعية الصهيونية ، لقاء ما يتقاضاه من أموالها ، خائناً أمانته . وفي هذه التمثيلية برزت بذور التمثيلية اللاحقة في

(مسرح السياسة) والسابقة في هذا الكتاب (نقود تنتقم)
إذ بدأت الزوجة تحس حديثا كالهمس من قبل الخزانة الحديدية
التي يضع فيها دوانيه ، بينما يضع في المصارف ما يتقاضاه من
الكسب الخبيث عن طريق عمالته للصهاينة .. وهذا الهمس
هو الذي برز في انتقام النقود العربية كما في (نقود تنتقم)وقد
أبرزت هذه التمثيلية عدداً من القضايا ، منها :

١ ـ شراء الصهاينة لذمم الموظفين الكبار في هيئة
الامم المتحدة ، بدءاً من سكرتيرها العام .

٢ ـ الدعارة والمال وسيلتا اليهود في تخريب الضمائر ،
وكسب الانصار .

٣ ـ عمالة المسز روزفلت ـ زوجة رئيس الولايات
المتحدة الامريكية ـ للصهاينة .

وقد عبّر عنها السكرتير بقوله : نجحت اليوم في عقد
قران المسز روزفلت نهائيا على شيخكم صهيون .. نعم قد
كانت تميل الى صهيون ، ولكنها ـ شأن الارملة القريبة العهد
بوفاة زوجها ـ كانت تتحشم وتتحرج ، فما زلت بها حتى أقنعتها

بزواج صهيون ، فهي اليوم زوجته ، وهو زوجها أمام الله ،
وأمام الناس ، وأمام التاريخ .

٤ ـ تآمر ترومان والمسؤولين الاميركيين مع
الصهاينة ، والسكرتير العام هو الوسيط الذي يهيء لتنفيذ
تقسيم فلسطين بالقوة ، وانشاء ميليشيا يهودية ، ورفع الحظر
عن ارسال الاسلحة الى يهود فلسطين ، والتركيز على
التوكيدات بأن الدول العربية ستخضع للأمر الواقع ، وبأن
المملكة العربية السعودية لن تخلّ بامتيازات البترول من
أجل فلسطين .

٣ ـ راشيل والثلاثة الكبار

تجري الاحداث في قصر اسرائيل بتل ابيب ، حيث
تقيم راشيل ويقيم معهـا حاجبها دافيد بن غوريون
ووصيفتها جولدامير .

راشيل حامل ، يدخل عليها حجرتها (جون بول)
ـ رمز الامبراطورية البريطانية ـ مستفسراً عن مرضها
ونزيفها ، فتجيبه : لقد أصابني النزيف من اغتنامي لانتصارات

العرب ، ثم شفاني منه سروري بانكساراتهم بعد ذلك .. ثم تخبره بأنها في شهرها التاسع ، وستضع المسيح الموعود بعد أيام قلائل (رمز لدولة إسرائيل) وقد علمت أنه سيجمع شتات اليهود ، ويعيد الهيكل ، وينشىء مملكة اسرائيل التي تسيطر على العالم كله . وهذا كله يحتاج الى حليف قوي يشاركهم في عبء القيام بانشاء هذه الدولة العالمية الكبرى ، وما ذلك الحليف القوي الا بريطانيا .

وعندما يتهمها جون بول بالاتفاق مع الدب الاحمر والتعاون معه ، بدليل تأييده الشديد لمشروع التقسيم ، وقيام اليهود بترويج الافكار الشيوعية في كل مكان ، بل لولا الرقابة الشديدة على المهاجرين اليهود ، وتصفيتهم في قبرص ، لكان جميع الذين دخلوا منهم فلسطين من الشيوعيين الذين جاؤوا لترويج الشيوعية في الشرق الاوسط . ودليل آخر هو وجود جثث القواد الروس بين القتلى الاسرائيليين .

ولكن راشيل تحب أن تلعب على الحبلين ، بل على عدة حبال في آن ، فتنفي تعاونهم واتفاقهم مع الروس ، أما

تأييد الروس لمشروع التقسيم ، فلأنهم وجدوا الحق مع اليهود - كذا - واما اولئك القواد الروس القتلى فهم متطوعون للقتال في سبيل الشعب اليهودي ، وليس لليهود ان يمنعوهم من القتال الى جانبهم . واخيراً تقول له :

« يا عزيزي جونبول .. ان اغراضنا متفقة تماماً .. كلانا رأسمالي ، وكلانا يحب التوسع الاستعماري .

وعندما يشير عليها ان تتفق مع العم سام ، لانه أغنى الناس ، تجيبه راشيل بأن كل غناه في يدها .. في ايدي اليهود .. ولو شاءت لامرت هذا الخنزير الغبي - أمريكا - فتمرّغ في التراب بين قدميها وهو مغتبط سعيد ، ولكنها بحاجة الى دهاء البريطانيين ، فاذا ما اتحدت بريطانيا واسرائيل ، فسيكونان مركز الثقل في هذا العالم المشطور الى كتلتين ، وستخضع الكتلتان لارادتهما .

وهنا تذكر جونبول بالرؤيا التي رأتها وقصتها على امه - بريطانيا - التي آمنت بها وسعت الى تحقيقها ، وتطالبه بأن يكمل ما بدأته امه ، فيجيبها :

« لقد اتممت صنيع امي ، ولكنك لا تشكرين ..
ألم انقذ جنودك من ايدي العرب في كل معركة يستنجدون بي فيها ؟ ألم اتركم تذبحون اطفال العرب ونساءهم وشيوخهم وانا واقف اسمع صوت ضميري يؤنبني ، فأتصامم عنه ؟ ألم اخدع العرب عن حيفا فسلمتها . الى ايديكم بغتة ؟ ألم ارجع اليك في تحديد موعد انتهاء الانتداب ، فاعتمدت اقتراحك بجعله يوم ١٥ مايو ؟ »

وهكذا يمضي الحوار ، عارضاً ما تمّ وما يتمّ وما سوف يتمّ على ايدي الصهاينة والمتواطئين معهم ، كما تبدو عدة قضايا ، وحقائق ، منها :

١ ـ كفر اليهود المتمثل في قول راشيل : كل من يملك في يومنا أن يضرنا أو ينفعنا فهو ربنا .

٢ ـ إيثار البريطانيين مصلحة اسرائيل على مصالحهم هم.
٣ ـ الذين اعترفوا بدولة العصابات ثلاث وثلاثون دولة.
٤ ـ رؤيا باكثير بأن هذا المولود (دولة اسرائيل) قد لا ترى عيناه النور أبداً ، أو قد يرى النور أياماً ثم يموت .

٥ ـ تسابق العم سام والدب الاحمر الى الاعتراف بالدولة المسخ .

٦ ـ تآمر بريطانيا حتى آخر لحظة مع الصهاينة .

* * *

٤ ـ ليلة ١٥ مايو

تمثيلية في ثلاثة مشاهد ، هي امتداد للتمثيلية السابقة ، تحكي ولادة اسرائيل ، إذ يزور جونبول في المشهد الاول ـ راشيل التي وضعت مولودها ، ولكن كان العم سام قد سبقه الى مخدعها ، ليكون اول المعترفين بشرعية ابنها . وجونبول هذا يريد الصحة لولدها المشوّه . وعندماتذكره بأن سفراء الدول المعترفة به سيزورونها للتهنئة ، ينصحها بألا تعرض عليهم مسخها ، بل تعرض لهم الطفل العربي المقمّط على أنه ابنها ، وسيؤيد خرافتها بكلامه في المهد .

وفي المشهد الثاني ، في بهو الاستقبال ، يتوافد سفراء جواتيمالا ويوغوسلافيا وتشكوسلوفاكيا على مخدع راشيل ، للتهنئة بالمولود الجديد . ولكن راشيل مشغولة في مخدعها بالعم

سام والدب الاحمر الذي خرج من مخدعها مغاضباً لما فعل أمامه من المنكرات، ويسترضيه بنجوريون وسفير جواتيمالا ـ اكبر عاهر في هذا العصر الذري ـ ويقول لبنجوريون مطيباً خاطر الدب الاحمر :

« إنك واسع الحلم والمغفرة ، وقد استطاعت مولاتي راشيل أن تزيل ما بينكما من الخصومة . والخلاف لمصلحة السلام العالمي ، فلا تدع حمقه يتغلب على حكمتك » .

ثم تتوالى اعترافـــات جواتيمالا والدب الاحمر وتشكوسلوفاكيا ويوغسلافيا بعد أن كان العم سام قد سبقهم الى ذلك .

وقد احتوت هذه التمثيلية على حوار طريف ، اطلعنا على التيارات السياسية التي رافقت قيام دولة العدو ، ويبقى بالكثير متفائلا بقدرة العرب على محو إسرائيل من الوجود ،حتى في ليلة ميلادها .

٥ ـ معجزة اسرائيل :

وفي هذه التمثيلية التي كانت شخصياتها هي شخصيات التمثيلية السابقة وزيادة ، هي :

الدب الأحمر ـ بنجوريون ـ العم سام ـ جونبول ـ سفير جواتيمالا ـ موسيه شرتوك ـ قس مندوباً عن الفاتيكان ـ جولدامير ـ الطفل العربي ـ المسخ الاسرائيلي .

تجري الاحداث في القاعة الكبرى في قصر اسرائيل بتل أبيب . ويظهر لنا من خلال الحوار :

ـ تنازع الدب الاحمر والعم سام حول شرعية الطفل الذي جاءت به راشيل، وكلٌ منهما يدعي أحقيته في تبنيه ؛ العم سام لأنه أول من اعترف به ، والدب الاحمر لان اعترافه به واقعي لا خيالي .

ـ العم سام هو الحبيب المفضل ، والحواري الاول لمسيح اسرائيل الدجال .

ـ جواتيمالا ترفض إلا ان تكون ذات الحظوة لدى اسرائيل ومسيحها الدجال .

ـ واحب ان انقل الحوار الطريف حول هذا التنازع

واظهار الولاء لاسرائيل :

الدب الاحمر: هؤلاء المذبذبون قد يسحبون اعترافهم، أما أنا وحاشيتي ، فلن نسحب اعترافنـــا أبداً ، ولو احتل العرب هذا القصر .

العم سام وأنا لا اسحب اعترافي ولو وقعت راشيل نفسها في ايدي العرب .

جواتيالا : انا أشد من ذلك ولاء .. لن اسحب اعترافي ولو نفذ العرب تهديدهم فألقوها وقومها جميعاً في عرض البحر .

جونبول : عجباً لكم يا قوم ، تدعون حب راشيل ، ثم تتطيرون لها هـذا التطير الفاحش ؟ آه لو سمعتكم راشيل

الدب الاحمر : ويلك ياجونبول ما اشد مكرك . لقد أردت بهذا أن تظهر لراشيل أنك أشد حباًمنا واخلاصاً .

جونبول : كلاما خطر هذا ببالي قط .. وانما عز علي أن تؤمنوا بمعجزة اسرائيل ، ثم تشكوا هذا الشك الكبير في بقاء دولته .

العم سام : صدقت ياجونبول ، لا ريب أن الهاسرائيل

الذي اظهر هذه المعجزة ، سيحمي دولته .

- مندوب الفاتيكان يستنكر معجزة اسرائيل المزعومة ، ويعتبرها خدعة ابليس .

- الحاد الدب الاحمر ، ورد مندوب الفاتيكان على كفره والحاده بقوله :

اسكت ايها الملحد الكافر . ان الدين سيبقى ما بقي الانسان انساناً ، ولكن يفكر به الا من صار حيوانا مثلك .

- المندوب يحمل جونبول مسؤولية اقامة اسرائيل ، ويتهم اليهود بحمل فواجرهم قديسات ، وانهم يريدون بناء هيكل سليمان على انقاض المسجد الاقصى وكنيسة القيامة .

- صفاقة راشيل ودعارتها في حوارها مع المندوب :

« يا مونسنيور ان اله اسرائيل اقتضت حكمته ان تمد مسيحنا المنتظر من عصبة من الرجال يمثلون جميع الاجناس ، ليكون مشاعاً بين البشر ، فتستجيب الشعوب كلها لدعوته المصيبة لاقرار السلام في الارض ، على اساس الالتفاف حول دولة اسرائيل ، دولة الدول » .

واظهار الولاء لاسرائيل :

الدب الاحمر : هؤلاء المذبذبون قد يسحبون اعترافهم، أما أنا وحاشيتي ، فلن نسحب اعترافنـــا أبداً ، ولو احتل العرب هذا القصر .

العم سام وأنا لا اسحب اعترافي ولو وقعت راشيل نفسها في ايدي العرب .

جوانيالا : انا أشد من ذلك ولاء .. لن اسحب اعترافي ولو نفذ العرب تهديدهم فألقوها وقومها جميعاً في عرض البحر .

جونبول : عجباً لكم يا قوم ، تدعون حب راشيل ، ثم تتطيرون لها هـذا التطير الفاحش ؟ آه لو سمعتكم راشيل

الدب الاحمر : ويلك ياجونبول ما اشد مكرك . لقد أردت بهذا أن تظهر لراشيل أنك أشد حباً منا واخلاصاً .

جونبول : كلاما خطر هذا ببالي قط .. وانما عز علي أن تؤمنوا بمعجزة اسرائيل ، ثم تشكوا هذا الشك الكبير في بقاء دولته .

العم سام : صدقت ياجونبول ، لا ريب أن الهاسرائيل

الذي اظهر هذه المعجزة ، سيحمي دولته .

ـ مندوب الفاتيكان يستنكر معجزة اسرائيل المزعومة ، ويعتبرها خدعة ابليس .

ـ الحاد الدب الاحمر ، ورد مندوب الفاتيكان على كفره والحاده بقوله :

اسكت ايها الملحد الكافر . ان الدين سيبقى ما بقي الانسان انساناً ، ولكن يفكر به الا من صار حيواناً مثلك .

ـ المندوب يحمل جونبول مسؤولية اقامة اسرائيل ، ويتهم اليهود بجعل فواجرهم قديسات ، وانهم يريدون بناء هيكل سليمان على انقاض المسجد الاقصى وكنيسة القيامة .

ـ صفاقة راشيل ودعارتها في حوارها مع المندوب :

« يا مونسنيور ان اله اسرائيل اقتضت حكمته ان يمد مسيحنا المنتظر من عصبة من الرجال يمثلون جميع الاجناس، ليكون مشاعاً بين البشر ، فتستجيب الشعوب كلها لدعوته العصبة لاقرار السلام في الارض ، على اساس الالتفاف حول دولة اسرائيل ، دولة الدول » .

ـ المسيح الكذاب يؤذي مناصريه .
ـ قتل المجاناه للاطفال العرب .
ـ المسخ الاسرائيلي يولد وملء فمه دود .
ـ ٦ ـ **المقراض** .

وتجري احداث هـــذه التمثيلية في مكتب الرئيس الامريكي في القصر الابيض .

وشخصياتها هي : الرئيس الامريكي ـ سكرتيرته ـ مسز روزفلت (زوجة الرئيس الامريكي السابق) ـ كوهين سفير اسرائيل ـ جونبول سفير بريطانيا .

وتظهر لنا هذه التمثيلية عدداً من الحقائق ، كما تثير عدداً من القضايا . منها :

ـ السفير الاسرائيلي هو الطفل المدلل ، بل هو السيد في نظر الرئيس الامريكي ، وهو المقدم على من سواه كالسفير البريطاني الذي حاول طرده لولا تدخل كوهين .

ـ اليهود يتحكمون في البيت الابيض ، فيدخلون اليه من يشاؤون ، ويبعدون عنه من يشاؤون ؛ فكرسي الرئاسة صدى لهم ، وملك أيديهم .

ـ انشتاين من الصهاينة ، ولا يسمح الصهاينة لأحد بمسه .

ـ مسز روزفلت غدت الاثيرة لدى اليهود ، لا يستغنون عن خدماتها .

ـ غروب شمس بريطانيا العظمى حتى أضحت شبحاً .

يقول عنها الرئيس الامريكي في ثورة وهياج : الذنب .. « ذنب هذه الدولة التي نرقع فيها دون جدوى .. هذه الدولة التي صارت عبئاً على ظهورنا لا يطاق .. هذه الدولة التي تريد منا ان نطعم رجالها ونساءها وأطفالها من مالنا ، وننكسوهم وننفق على مساكنهم ومصانعهم وملاهيهم . هذه الدولة أصبحت شبحاً لا حقيقة له ، وهي لا تزال تسمي نفسها بريطانيا العظمى » وفي هذا نقد مرير وجهه باكثير لهذه الدولة المعادية على لسان صديقها الرئيس الامريكي .

ـ برودة الدم الانكليزي في دهاء .

ـ مماطلة الامريكان بتقديم قرض لرئيس وزراء ايران الدكتور مصدق كانت بايعاز من حكومة اسرائيل كممارسة

ضغط عليه ، لتعود حكومة بلاده الى الاعتراف باسرائيل ، وانشاء روابط المودة معها ، كما تفعل جارتهم تركيا الكمالية.

- احتقار الرئيس الامريكي لدور المرأة في السياسة .
ويقول محتداً وممرضاً ومهاجماً مسز روزفلت :

« أي رأي عندها وأي مشورة ؟ ما للمرأة والسياسة ؟ للمرأة أن تحترف الغناء مثلاً اذا كان صوتها عذباً كصوت ابنتي مرجريت ، أو التمثيل على الشاشة البيضاء ، اما التردد على البيت الابيض ، والتدخل في شؤون صاحب البيت الابيض ، فالزنوج السود احق منها بذلك » .

- المقراض - الذي هو عنوان المسرحية - هو مشروع القرض المصري الذي اتفق عليه الدكتور مصدق مع النحاس باشا ، لتسد الحكومة الايرانية حاجتها الى المال ، لاستئناف العمل في انتاج بترولها ، وادارة معامل تكريره .

- تخوف الجميع (الامريكان والانكليز واسرائيل) من هذا القرض الوطني الذي ستطرح اسهمه على الشعب ، فيفيد منه الاقتصاد المصري ، اذ سيمتص كثيراً من تضخمها النقدي ،

ويساعد أغنياءها على تشغيل أموالهم المعطلة في البنوك والمصارف ، كما يساعد عامة الشعب على التوفير والادخار . ووجه الخطورة في هذا المشروع ، بعد ان بلغت الحماسة الوطنية المصرية درجة الغليان ، أنه قد يكون فاتحة لمشروعات مماثلة في البلاد الاسلامية الأخرى ، لأن المصريين سيقومون بدعاية في باكستان وأفغانستان والعراق والمملكة العربية السعودية لتساهم بدورها في هذا القرض ، وعندئذ ستعقد القروض بين بعض الدول الاسلامية وبعض ، من الدار البيضاء غرباً ، الى اندونيسيا شرقاً ، كلما احتاجت إحداهن الى القيام بمشروع لاستثمار مواردها التي لا تنضب ، وفي هذا خطر أي خطر .. أعظم من خطر المانيا الهتلرية . ثم - يقول كوهين للرئيس الامريكي - : تصور يا سيدي الرئيس ماذا يكون مصير اسرائيل يومئذ ؟ اسرائيل التي أنفقتم في انشائها الأموال ، وعقدتم عليها الآمال ؟.

فيجيبه الرئيس الأمريكي : أجل . ماذا يكون مصير إسرائيل ؟ أستطيع أن أتصور زوال بريطانيا من الوجود ، بل أوربا كلها ، بل حتى الولايات المتحدة ، ولكن الملح

يقتلني إذا تصورت زوال إسرائيل .

وهو عندما يقول هذا الكلام الخطير ، إنما يريد من ورائه خطب ود الصهاينة ، لذلك يلتفت الى اليهودي كوهين قائلاً : سجّل كلمتنا هذه، وبلغها لحكومتكم ولجميع هيئاتكم في العالم .

ـ للرئيس الامريكي مستشارون رسميون وغير رسميين ، وكثير منهم من اليهود .

ـ التركيز على إيران لانتزاع اعترافها بإسرائيل .

وهكذا نرى أن باكثير ـ طيّب الله ثراه ـ كان ذا نظرة شمولية إلى مختلف القضايا العربية والاسلامية والعالمية ، يحاول ربط الاحداث بعضها ببعض ، ربطاً محكماً دقيقاً ، فيه من الذكاء حدته ، ومن الوعي لطبيعة الأحداث العالمية إحاطة وتركيز على المحور الأساسي لقضية الاسلام والمسلمين في هذا العصر ، أعني قضية فلسطين .

مأساة أوديب :

وبعد نكبة فلسطين ، عانى باكثير أزمة نفسية عنيفة، جعلته يعيش في حزن شديد ، فتلمس متنفساً عنها في عمل مسرحي يستوحيه منها ، ويترجم به عنها ، فكانت مسرحية (مأساة أوديب) التي كتبها عام ١٩٤٩ على أثر انتصار الصهاينة على الجيوش العربية مجتمعة « فقد انتابني ـ يقول باكثير ـ اذ ذاك شعور باليأس والقنوط من مستقبل الأمة العربية ، وبالخزي والهوان بما أصابها .. احسست أن كل كرامة قد ديست بالاقدام ، فلم تبق لها كرامة تصان ، وظللت زمناً أرزح تحت هذا الألم الممض الثقيل ، ولا أدري كيف أنفس عنه» .

إلا انه تذكر الاسطورة اليونانية التي خلدها سوفوكليس في مسرحيته (أوديب ملكاً) فأحسّ ان فيها متنفسه ، لا في غيرها ، فأعاد كتابتها تحت ضغط تلك الظروف القاسية ، وقد انبثقت في نفسه شخصية أوديب الذي توالت عليه النكبات، ولكنه صمد لها ، وكافح ، حتى انتصر آخر الأمر . وخلاصة المسرحية ـ كما جاءت في كتاب (فن المسرحية من خلال

تجاربي الشخصية) ـ أن النبوءة التي تنبأ بها وحي ابولون للابوس ملك طيبة بأن سيولد له غلام يقتل أباه ويتزوج أمه ، انما كانت فرية اختلقها الكاهن الاكبر لمعبد دلف برشوة أخذها من بوليب ملك كورنث الذي كان المنافس لملك طيبة على زعامة هيلاس ، وكان بوليب عقيماً ، فلما بلغه أن جوكاستا زوجة لايوس قد حملت ، اكلت الغيرة قلبه ، وخشي ان ينتقل ملكه الى اسرة لايوس ، اذا أعقب لايوس ومات هو دون أن يكون له عقب . فتعهد الكاهن الاكبر بأن يجعل له مخرجاً اذا دفع له مبلغاً كبيراً من المال للمعبد ، فاختلق تلك النبوءة ، وأعلنها ليدفع لايوس الى التخلص من ابنه اذا ولد ، ولكن الكاهن الاكبر لم يكتف بذلك ، بل اراد ـ كعادته في ايهام الناس بصدق نبوءاته ـ أن يحقق تلك النبوءة بالفعل ، فأوعز الى الخادم الذي كلفه لايوس بقتل ابنه الطفل في الجبل ألا يقتله ، بل يسلمه الى راع من كورنث ، ليذهب به هذا الراعي الى بوليب . وقد سر بوليب ، فأي انتقام أشهى لديه من ان يربي هذا الطفل حتى يكبر ، فيحقق تلك النبوءة في

خصمه اللدود ؟ .

وبلغ أوديب مبلغ الرجال ، وهو يعتقد أنه ابن ملك كورنث ، فأوعز الكاهن الأكبر الى احد الشبان الذين يعاقرونه الخمر ، فطعن في نسبه ، فلما ثار أوديب وهمّ ان يفتك به ، قال له الشاب : لا تعجل .. اذهب فاستفت معبد دلف ، فان وجدتني كاذباً فأقتلني . وكان أوديب على جرأته واندفاعه حكيماً ، فكفّ عنه ، وذهب يستفتي معبد دلف ، حيث استقبله الكاهن الأكبر ، فأكد له صدق ما سمع ، وأخبره أنه في الحقيقة ابن لايوس ملك طيبة ، وجوكاستا ملكتها . وقصّ عليه أمر النبوءة القديمة ، وحذّره من الذهاب الى طيبة .

ولكن أوديب الحر العقل ، السليم الفطرة ، لم يؤمن بهذه الخرافة ، فأقسم ليذهب الى طيبة لا ليقتل أباه ـ كما تزعم النبوءة ـ بل ليقبل رأسه ، ويكون ابناً باراً به . فأعاد عليه الكاهن التحذير ، فلم يزدد أوديب الا تصميماً على التحدي . وكان هذا في الواقع هو ماقصده الكاهن من تحذيره ، اذ كان يعرف في طبعه العناد .

القصر واخذوا يغسلونه ويطيبونه ويكسونه فاخر الثياب ، وهم
يطرون له جمال جوكاستا وانه لشبابه النضر اصلح لها من
لايوس الشيخ . كل ذلك واوديب يهم ان يصيح بهم : كفوا
عن هذا .. ان جوكاستا هذه هي امي . ولكن لسانه ينعقد
في كل مرة ، وتموت الكلمات في شفتيه ، ويقول في نفسه : من
يدري .. لعل هذه ليست امي ، ولعل لايوس ليس ابي ؟ .

وجليت عليه جوكاستا في ثياب الزينة كأنها عروس
عذراء ، فتمثل له في تلك اللحظة خيال امه ميروب ملكة
كورنث ، كأنها تقول له لائمة : أفي الحق يا بني ان تتزوج
بعيداً عن امك ، دون ان تشهد عرسك ، وتفرح بزفافك ؟ .

فطار من ذهنه حينئذ كل شك في انها ليست امه ، وايقن
انه لم يقتل اباه ، فاطمأنت نفسه لهذا الخاطر الذي اراحه من
شعوره بالاثم في قتل ابيه .

وهكذا عاش مع جوكاستا سبع عشرة سنة في سعادة
وحب ، وولدت له اولاده الاربعة ، دون ان يخطر بباله اي
ظل من الشك ، فقد ايقن ان المعبد كان كاذباً في كل ما ادعاه،

فازداد به كفراً ، ولولا مراعاته لعقيدة الناس فيه ، لأنزل
بالكاهن العقاب الى ان جاء ذلك الطاعون الذي فتك باهل طيبة، فتوسل
اهلها اليه ان يستفتي المعبد ، لعل الآلهة ترفعه عنهم ، فكان
اوديب يسخر في سره من ذلك ويقول : وارحمتا لهذا الشعب ،
ما زال يؤمن بالمعبد ، ومن المعبد بؤسه ونكبته .

لقد أدرك أوديب ان هذا الوباء إنما نتج من المجاعة
والفقر ، لأن معظم الأرض قد صارت من املاك المعبد واوقافه،
فالسبيل الوحيد لانقاذ الشعب منه ، هو ان يصادر هذه
الأملاك ، ويعيد توزيعها على الشعب ، ولكنه خشي إن اقدم
على ذلك ان يثور الشعب نفسه عليه ، فبقي برهة يفكر ويقدر .

وفي تلك الفترة العصيبة حضر إليه تريزياس . وتريزياس
كان كاهناً صالحاً من كهنة المعبد ، وكان ينكر على الكاهن
الأكبر لوكسياس سوء اعماله في اتخاذ الدين ذريعة لتضليل
الشعب ، واستنزاف امواله ، فطرده لوكسياس من المعبد ،
وأعلن كفره وحرمانه ، فعاش في منفاه خارج طيبة يرقب
الأحداث طوال ثلاثين سنة . فرحب به أوديب ، اذ طالما سمع

عن عداوته المعبد ، وعداوة المعبد له ، وظن أنه سيجد عنده
الرأي السديد ، فاذا تريزياس يكشف له الحقيقة التي ظن
أوديب أنها فرية اختلقها المعبد ، إذ شرح له كل شيء : فشرح
له المكايد التي دبرها لوكسياس من أولها الى آخرها ، بتفاصيلها
ودقائقها ، فلم يستطع اوديب ان يشك في صحتها ، لأن جل
هذه التفاصيل قد مرّت به فعلاً .

وهمّ اوديب ان يفقأ عينيه من هول هذه الحقيقة ، لو
لم يمنعه تريزياس من ذلك ، إذ ذكره عينيه ليستا ملكه هو ،
بل ملك الشعب ، فعليه ان يمضي فيما اعتزمه من مصادرة اموال
المعبد وتوزيعها على الشعب لانقاذه من ذلك الوباء ، ومن الوضع
الفاسد الذي جرّ إليه .

وأشار على أوديب ـ ريثما يتم التدبير لذلك ـ ان يستجيب
لطلب الشعب ، فيبعث كريون ليستفتي المعبد ، فاذا لوكسياس
الكاهن الاكبر يقدم بنفسه الى طيبة ، ويخطر أوديب بأن
الوحي قد انبأ ان سبب الطاعون ، وجود رجل في طيبة هو

الرجس الذي قتل أباه وتزوج أمـــه ، ولاخلاص لطيبة من
الوباء إلا بخلاصها من هذا الرجس ، ثم أخذ يساومه ويعرض
عليه ألا يعلن هذه الحقيقة للشعب ، إذا عدل أوديب عما همّ
به من مصادرة أموال المعبد ، وسلّم تريزياس ليحاكمه المعبد
على خيانته وكيده . فأهانه أوديب وقال له : اعلن الحقيقة
للشعب ، فاني لا أبالي .

ولم تستطع جوكاستا ان تتحمل هول الصدمة ، فانتحرت
شنقاً ، واعلن الوحي في الشعب ، فهاج وماج ، ووقف أوديب
أمام محكمة الشعب ، وليس معه غير تريزياس . وحمي الوطيس
بين الكاهنين : لوكسياس وتريزياس ، هذا يلقي التهم على اوديب ،
وهذا يدافع عنه . وحضر الشهود جميعاً : خادم لايوس القديم ،
والراعي الكورنثي ، وبوليب ، وميروب ملكا كورنث ،
فأدلى كل واحد منهم بشهادته .

ودهل الشعب بما سمع ، فطوراً يميل مع لوكسياس ،
وطوراً يميل مع تريزياس ، الى ان انتهت المحاكمة اخيراً بسقوط
لوكسياس ، وانتصار أوديب ، إذ أدرك الجميع انه معذور

فيما وقع منه ، وان التبعة كلها على لوكسياس الذي دبر هذه السلسلة من المكايد .

ونهض اوديب فأعلن انه لم يعد صالحاً للحكم ، بعدما تلوث وتدنس ، فليختاروا ملكاً غيره ، ولكن الشعب ألح عليه ألا يعتزل الحكم ، وقالوا : لانرضى بغيرك بديلاً .

ونفذ أوديب ما اعتزمه ، فصودرت اموال المعبد ، ووزعت الأرض على الشعب ، فزالت المجاعة ، وارتفع الوباء ، وعاشت طيبة عيشة هنية، ولكن اوديب ظل حزيناً فيالقصر ، تساوره آلام الذكرى ، حتى ضاق ذرعاً بذلك، فتسلل ذات ليلة من قصره ، تاركاً طيبة ليهيم على وجهه في الأرض ، وهو يقول : ان طيبة بخير ، ولن تعقم بملك يرعاها خيراً منه .

وقد فسّر باكثير مسرحيته هذه (مأساة اوديب) ضارباً بها مثلاً على النوع الثاني من الرمز ، ذلك الذي يكون « كلياً عاماً شاملاً في المسرحية كلها ، بحيث تكون المسرحية واقعية نابضة بالحياة في حوادثها وشخوصها كأية مسرحية جيدة، ولكن يكون لها فوق هذه الدلالة الطبيعية دلالة ثانية ادق

واعمق ، وتقع من الدلالة الاولى موقع الصدى من الصوت » .

« وهذا النوع أفضل ، وإجادته أصعب ، ويجيء في الغالب دون وعي من المؤلف ، أو قصد ظاهر ، وإلا ظهر التكلف والتعمل فيه فقسد » .

وقد سبق أن قلنا: إنه ألّف هذه المسرحية تحت وطأة ظروف نفسية قاسية ، على أثر نكبة فلسطين ، وبالتحديد ، كان نشرها عام ١٩٤٩ ، وربما كان ألفها قبل هذا التاريخ بعام أو بعض عام ..

وترتاح نفسي لترك باكثير يفسّر لنا ما رمزت إليه مسرحيته هذه إذ يقول :

« عالجت المسرحية تلك الأسطورة اليونانيـــة علاجاً جديداً بمضمون جديد ، وعقيدة جديدة تخالف تلك العقيدة اليونانية القديمة التي تجعل الانسان ألعوبة في يد القدر ، وضحية لنزوات الآلهة . ولكن المسرحية ـ بالرغم من ذلك ـ حافظت على شخوص الأسطورة وحوادثها كما هي في الأصل ، إلا في بعض التفصيلات الثانوية التي لا تخرج عن اطارها العام ، وان

وضعت لكل حادث من حوادثها تفسيراً يختلف به مدلوله عن مدلوله في الأصل .

انها في دلالتها الأولى قائمة بذاتها ، متسقة مع نفسها في ذلك المحيط اليوناني القديم ، دون أن يربطه شيء بمحيطنا العربي ، أو أي محيط آخر معاصر ؛ فالشخوص هي الشخوص ، والحوادث هي الحوادث ، والعصر هو العصر . ولئن اختلف التفسير ، فان ذلك لا يخرج بموضوع المسرحية عن كونه يونانياً قديماً ، لا علاقـــة له بأي شعب آخر ، أو أي عنصر آخر .

ولكنك اذا تأملت فيها ، وجدت لهـــا دلالة ثانية تعكس واقعنا العربي - وعلى وجه الخصوص الفترة بين حرب فلسطين والثورة المصرية - بدقائقه وتفاصيله دون تعيين او تحديد لهذه الدقائق والتفاصيل من حيث مطابقتها أو مشابهتها لدقائق وتفاصيل القصة التي ترويها المسرحية :

لقد خضنا حرب فلسطين بجيوشنا الستة أو السبعة فماذا كانت النتيجة ؟ .

خسرنا الحرب من حيث كسبتها اسرائيل ، فاضيفت الى رقعتها أراض واسعة .

فهل كان ذلك طبيعياً اقتضاه ضعف العرب وقوة اسرائيل ؟ أم كانت المسألة كلها مدبرة من قبل ، تواطأ عليها الاستعمار والصيونية وفي خدمتها بعض ملوك العرب وزعمائهم ، لجر الاقطار العربيـــة الى تلك الحرب ، حتى تسفر عن هذه النتيجة المقصودة ؟ .

ومتى بدأ هذا التدبير ؟ ألم يبدأ منذ أعلن بلفور وعده المشؤوم باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ؟ .

فانظروا الآن الى قصة المسرحية .. ألا ترون فيها مشابهة من هذا الذي حدث .

لقد أعلن لوكسياس نبوءته الكاذبة قبل مولد أوديب ، ثم وجّه الأحداث نحو تحقيق هذه النبوءة حتى تحققت . وكان أوديب هو الذي سعى بنفسه الى خوض غمار التجربة ، متحدياً تلك النبوءة ، حتى وقع في صميم المأساة ، طبقاً لخطة مرسومة لا يدري هو عنها شيئاً ، تماماً كما سعى العرب الى خوض غمار

الحرب ضد اسرائيل ، متحدين بزعمهم كل القوى التي تناصر اسرائيل ، حتى وقعوا في صميم المأساة ، طبقاً لخطة مرسومة لا يدرون عنها شيئاً .

وفي حرب فلسطين هدنتان : الاولى والثانية . أفلا تجدون في قصة المسرحية مشابهاً لها في ذهاب أوديب الى طيبة مرتين ؛ الاولى ليقتل أباه ، والثانية ليتزوج أمه ؟ .

والاقطاع الذي كان متحكماً في مصر وغيرها من البلاد العربية ، ألم يكن مسؤولاً عن نصيبه في هذه المأساة ، ومآس غيرها كثيرة ، حتى بلغت قمتها في حريق القاهرة ؟أفلا تذكركم قصة المسرحية بشيء من ذلك في الطاعون الذي انتشر في طيبة ، والذي كان سببه احتجان المعبد للأرض الزراعية ، حتى لم يبق للشعب منها الا القليل ؟ » .

ويمضي باكثير في تحليل رموز هذه المسرحية ، ولكننا نخالفه في بعض التأويلات المتعسفة التي ما كان ينبغي له ان يقولها ، لولا ما ينتاب النفس البشرية من ألوان الضعف ، عندما يشتد بها الكرب ، وتحيط بها المخاوف ، فتلجأ الى النفاق ، تداري

به عن نفسها ، وما تدري أنها تقتل نفسها بما تفعل ... وعجيب من باكثير الذي درس السيرة النبوية ، والتاريخ الاسلامي ، في عهود ظلامه واشراقه - عجيب منه أن يخور ، ولكن .. كما قيل .. لكل عالم هفوة ، ولكل جواد كبوة ، ولكل سيف نبوة .. ومع ذلك .. فاننا نرى فيما قدمه باكثير من تفسير لرموز مسرحيته هـــذه ، يبقى في حدود المعقولية ، ونستطيع أن نمد تفسيره ونبسطه على الساحة العربية ، واذا هو يشمل - فيما يشمل - حرب حزيران ، أعظم مما يشمل حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ولكنه - كما قلنا - كان ألف المسرحية ونشرها عام ١٩٤٩ أي قبل العدوان الثلاثي على مصر ، وحرب حزيران ، بما يقارب العقد من السنين في الاولى ، والعقدين في الثانية .

شعب الله المختار

ثم يكتب باكثير مسرحية (شعب الله المختار) وهي ملهاة في أربعة فصول ، هدف من ورائها الى تسفيه اسطورة شعب الله المختار ، وبيّن أن دولة اسرائيل تحمل بذور فنائها في داخلها .

تجري وقائع المسرحية في فندق بتل الربيع - تل أبيب - يديره حاتم وزوجته سارة ، وهما من يهود النمسا المهاجرين الى فلسطين ، ولهما بنت وحيدة هي راشيل ، مخطوبة لشاب اسمه سيمون - مهاجر من مصر - ومايزال والده مقيماً هناك . ولحاتم شريك في الفندق هو عزرا - من يهود اليمن - كما يقيم في الفندق بشكل دائم ، أربعة من أعضاء الكنيست ، وهم من مهاجري يهود اوربا (كوهينوف من روسيا ، وكوهينسون من أمريكا ، وكوهان من فرنسا ، وكوهين من انكلترا) ويزور الفندق رجلان من رجال الاعمال الامريكيين ، وهما (اندرسون ، وليفي) - وليفي هذا يهودي - كما يتردد على الفندق رجل عربي هوصادق بائع اللبن ، كما يزوره داندي -

أحد مراقبي هدنة من رجال هيئـة الامم . ويكتمل عقد شخصيات المسرحيـة بمجيء رجل ايطالي هو أمبرتو بلاكم مع زوجته .

والكواهين الاربعة يشكلون جبهة صراع واحدة ، بينما يقف كل من سيمون وليفي كشخصيتين معارضتين ؛ الاول يرى ان عليه أن يخدم بلده مصر لا اسرائيل ، والثاني من اليهود اللا صهيونيين . ومن خلال رسمه لهذه الشخصيات، ومجريات الاحداث ، أبرز باكثير عدداً من الحقائق :

١ - كشف عن مادية اليهود جملة ، وبخلهم،وبراعتهم في جمع المال من أحسن المهن .

٢ - حالة القلق والاضطراب التي تسود حياة اليهود في فلسـطين المحتلة ، وتفضيل أيام الانتداب على أيـام الحكم الصهيوني .

٣ - الجنس المتفشي في أوسـاط اليهود ، تمثل ذلك (راشيل) الفتاة الشبقة الهلوك ،وأمها التي كانت مومساً وهي شابة ، وهي كهلة ، وهي تدفع ابنتها الى مضاجعة الرجال

لابتزاز أموالهم . أما زوجها حائم فانه يستخدمها وسيلة للترفيه عن النزلاء ، وابتزاز أموالهم أيضاً .

٤ - فرح اليهود بتصدع الدول العربية .

٥ - عدم احكام الحصار الاقتصادي الذي ضربه العرب حول الصهاينة في الارض المحتلة .

٦ - تصميم الصهاينة على الحصول على الصلح بالقوة .

٧ - ازدراء اليهود الاوربيين لليهود الشرقيين .

٨ - اتهام اليهود الشرقيين لليهود الغربيين بأنهم ليسوا من شعب الله المختار .

٩ - هجرة اليهود الشرقيين من البلدان العربيـــة الى الارض المحتلة باموالهم .

١٠ - ضغط الصهاينة على مراقبي هيئة الامم ، وارهابهم.

١١ - اسهام الصهاينة بتهريب الحشيش الى مصر .

١٢ - الاعتراف بالدعم الاقتصادي الامريكي ، لليهود ووقوع أمريكا تحت سيطرة الصهاينة .

١٣ - تخلي اليهود الاوربيين عن جنسياتهم، وتألم اليهود من ضياع الجنسية المزدوجة .

١٤ - حسن معاملة المصريين لليهود ، وخيانة اليهود.

١٥ - لا عدل في دولة الاغتصاب .

الى غير هذا وذاك من الحقائق والاوهام التي برزت من خلال الحوار .

والجميل في باكثير انه يبقى متفائلاً بزوال اسرائيل في كل مرة . وهو هنا يتوقع انهيار اسرائيل من الداخل ، وقيام ثورة شعبية ضد النظام الصهيوني ، وبالتالي اجراء مفاوضات مع الدول العربية لتصفية اسرائيل . وهـذه رؤيا جديدة لانقراض اسرائيل ، وقد سبقت له رؤى أخرى لانقراضها ، كانت الاولى عن طريق الحصار الاقتصادي الذي لن يدوم أكثر من سبع سنين ، والثانية تتمثل في تخلي بريطـانيا عن اليهود ...

امبراطورية في المزاد

وعلى الرغم من ان مسرحية (امبراطورية في المزاد) موجهة بالدرجة الاولى الى الاستعمار البريطاني ، الا ان حظ اليهود يبقى وافراً فيها ، اذ يبرز النفوذ الصهيوني في الاحزاب البريطانية : حزب العمال، وحزب المحافظين، والحزب الشيوعي .

تتألف المسرحية من أربعة فصول .

في الفصل الأول يعرفنا بأغلب شخصيات المسرحية ، كما يبرز النفوذ الصهيوني المتمثل في شخص كوهين ، والايحاء بتسرب النقمة من وضع الامبراطورية في صفوف الجيل الجديد المتمثل في شخص كل من هنري وكارولين .

وفي الفصل الثاني يعرفنا ببقية الشخصيات ، كما يتضمن مثلاً حسياً لقوة النفوذ الصهيوني ، واحتيال ترويجهم للشيوعية التي صارت موضة لدى أبناء الطبقة الارستقراطية ، يضاف الى ذلك ، أهمية مؤتمر الشعوب في دلهي ، وكشف سياسة بريطانيا في ضرب الكتلتين المتصارعتين لبناء امبراطوريتها ، وابادة مصر لضمان سلامة اسرائيل ؛ واستمرار العون الامريكي .

ويتضمن الفصل الثالث استجابة الجيل الجديد لمبادىء مؤتمر دلهي ، وقيام الثورة في فرنسا ، وتخلي امريكا عن بريطانيا ؛ بتأييدها لمؤتمر دلهي ، ثم قيام الثورة في بريطانيا ، واعتقال رجال الحزبين من المسؤولين .

وفي الفصل الرابع يتخلى الثوار من حزب هنري عن المستعمرات ، ويعملون على تخليص البلاد من الديون ، ببيع ممتلكات الدولة ، ثم الاستيلاء على أموال الاغنياء ؛ وظهور الخداع الصهيوني ، وبروز الكتلة الثالثة ، قوة مؤثرة تحول دون وقوع بريطانيا تحت نفوذ روسيا أو أمريكا ، وتخلي كارولين عن شيوعيتها ، وإبداء رغبتها في الرحيل مع هنري للعيش في البلاد التي يؤمن أهلها بالسلام على أنه اسم من اسماء الله الحسنى .

لقد كانت هذه المسرحية إرهاصاً بالمستقبل ، ووضعاً لبعض الحلول لكثير من المشكلات الانسانية ، كقيام الكتلة الثالثة من أجل حل المشكلات الدولية . وهـذه أيضاً رؤيا أخرى لباكثير .

وسبق لي أن ذكرت أن باكثير تنبأ بانعقاد مؤتمر دلهي قبل التفكير بانعقاد مؤتمر باندونغ بثلاث سنين ، أي أنه كان يدعو إلى الحياد الايجابي ، بعيداً عن المعسكرين ، هذا الحياد الايجابي الذي بدأ يظهر على الألسنة الطاهرة الخاصة ، فاجهضه الاستعمار بوضعه في أفواه الصنائع والعملاء ، حتى مجّه الناس ، فأجهضوه ، ولم يعد إلا مجرد دعوى فارغة ، لا حقيقة لها .

اله اسرائيل :

كتب باكثير مسرحية (اله اسرائيل) واستوعب فيها المشكلة اليهودية منذ أقدم عصورها حتى يوم كتابتها ، وهي ثلاث مسرحيات متكاملة في كتاب واحد :

١ ـ الخروج : تجري أحداثها في عهد موسى عليه السلام ، وهي في خمسة مشاهد .

٢ ـ ملكوت السماء : في عهد عيسى عليه السلام ، وهي في أربعة مناظر .

٣ ـ الحية : وزمانها العصر الحديث . وهي في

خمسة مشاهد .

يقول باكثير في مقدمتها :

« استقيت حقائقها من الكتب المقدسة الثلاثة : التوراة والانجيل والقرآن ، ومن التلمود ، ومن كتب أخرى كثيرة، كتبها اليهود ، أو كتبت عنهم في مختلف العصور ، وظلت فكرتها مختمرة في ذهني أكثر من خمسة عشر عاماً » .

الخروج :

المشهد الأول يجري في معبد مصري يقوم علية كاهن يهودي ، يظهر ابليس مع شياطينه الأربعة على سبعة شيوخ يهود ، ويزعم أنه الههم ، تجلى عليهم ، كما سيتجلى على قومهم بالذهب ... المعدن النفيس ، ويأمرهم بالتخلي عن موسى .

والمشهد الثاني في برية سيناء ، يجمع موسى ذهب بني اسرائيل .. الحلي التي استعارتها نساؤهم من المصريات قبل الخروج ، ويأمر باعادته الى صاحباته ، ويذهب الى ميقات ربه .

وفي المشهد الثالث يعود ابليس ليظهر أمام الشيوخ

ويأمرهم بعصيان موسى، وأن يصنعوا من الذهب الذي معهم عجلاً له حركة وخوار بتأييده .

وفي المشهد الرابع يعود موسى من ميقات ربه ، ليجد بني امرائيل عاكفين على العجل الذهبي الذي اخترعه لهم السامري ، فيأمر بقتل كل من عبده على أيدي المؤمنين .

وفي المشهد الخامس نرى موسى يوعز الى بني امرائيل أن يقاتلوا رجال كنعان ، ويأمرهم ألا يقتلوا الشيوخ والنساء والاطفال ، ولكنهم يفعلون عكس ما أمرهم به ، فيدعو ربه أن يصب عليهم لعناته ، فهم شعب ابليس ، وليسوا شعب الله ، كما يدعوه أن يقبضه اليه .

ملكوت السماء :

في المنظر الأول نرى نبي الله يحيي عليه السلام، يدعو بني امرائيل ليطهرهم ، ومريم الجدلية تتعقبه هـائمة به ، فيزجرها ، وابليس وشيطاناه يتعقبونها ويوسوسون لها ان تتبعه ، ويجري حوار بين ابليس ويحيى، نفهم منه ان المسيح قد أظل" زمانه .

وفي المنظر الثاني يقتل يحيى ، وتحمل سالومي رأسه في طبق ، ويظهر السيد المسيح عليه السلام ، ويكون حوار بينه وبين ابليس الذي يمنيه فيخزى ، ولكنه يتوعده بقومه بني امرائيل بأن يقذفوا أمه ويرموها بالفاحشة .

والمنظر الثالث في بيت (قيافا) رئيس الكهنة ، يأتمر هو و (حنانيا) على قتل المسيح ، ولكن رئيس الكهنة لا يجد ما يسوغ قتله ، ثم ان المسيح قوي الحجة ، ضليع ، لا يقوى احد على محاورته ، فلا يجد غير الجدلية لتشويه سمعته ، فينفض عنه الناس . ولكن الجدلية تخيب ظنونهم وآمالهم ، بعد أن آمنت به وأحبته ، فردت سهام تآمرهم في نحورهم . وحينما يأتي ابليس على شكل اله امرائيل ، وتكاد تفتن به وتصدقه ، اذا هي تعرفه ، تعرف أنه ابليس اللعين .

والمنظر الرابع في مقر الحاكم الروماني ، حيث يقبض على يهوذا الاسخريوطي الذي ألقى الله عليه شبه المسيح،فظنوه أنه هو ، فيحاكم ويصلب، فيما هو يستغيث ويستصرخ ، دون ان يلتفت اليه أحد .

الحية :

في المشهد الأول نرى ابليس مبتهجاً مع شياطينه ، لانعقاد المؤتمر الصهيوني في بال بسويسرا عام ١٨٩٧ م . وعلى جدار المسرح خريطة كبيرة للعالم في سنة ١٨٩٧ وقد التفت حول أقطاره حية صفراء ضخمة ، وظهر رأسها متجهاً نحو فلسطين ، وهو ينوس ذات اليمين وذات الشمال ، يتحفز للوثوب عليها .

والمشهد الثاني في المؤتمر الصهيوني الأول في بال ، تبدو الآراء مختلفة حول مستقبل اليهود ، وما عليهم ان يعملوه من اجل اقامة الوطن القومي لهم ، وما التسمية التي ينبغي عليهم ان يطلقوها على حركتهم الجديدة التي تخرج من نطاق السرية الى العلنية ... وينتهي الرأي الى تسميتها بالحركة الصهيونية ، برغم اعتراض المتعصبين من اليهود الذين يحتقرون غير اليهود من (الجوييم) كما يستقر الرأي على أن تبقى جاليات يهودية خارج فلسطين ، وخارج ارض الميعاد ، كيلا تكون كارثة .. وهذه الحركة الصهيونية ستكون تمويهاً وتعمية على سائر

الشعوب ، كتلك الحركات التي انشأها أسلافهم فيما مضى ، كالماسونية مثلاً ، التي انتشرت محافلها في جميع اقطار العالم ، واشتركت فيها جميع الشعوب على اختلاف أديانها وألوانها وألسنتها باسم الاخاء البشري ، والتسامح الديني ، فامكنهم من خلالها ـ وبفضل ماسونياتهم الخاصـة المندرجة في تلك الماسونيات العامة ـ ان يحققوا الكثير من اهدافهم ، وعلى رأسها الحصول على اعتراف لهم بحق انشاء هـذا الوطن القومي في فلسطين ، من الدولة العثمانية التي تعتبر فلسطين جزءاً منها . فان أبت ، فمن دولة اخرى ستكون صاحبة التصرف في فلسطين ، ومن اجل هذا سيثيرون حرباً طاحنة تسيل فيها دماء الجوييم انهاراً ، بل حروباً يتلو بعضها بعضاً .

وفي المشهد الثالث حوار بين ابليس وشيطانيه ، نعلم انه كاد يتخلى عن شياطينه بعد ان اتخذ من بني اسرائيل شعبه المختار ، وخاصة بعد مؤتمر بال الذي برعوا فيه . ثم يعود الشياطين تائبين راكعين ، فيؤنبهم على تقصيرهم ، فيما يجد اليهود ، ولكنهم يأبون ان يوجه اليهم أي تأنيب ، فهم بنو

النار ، ولن يدعوه يركب على ظهورهم ابناءه القردة .

ولكن الشياطين ـ في المشهد الرابع ـ ما يلبثون ان يحسوا بعجزهم ، فيعودوا تائبين من جديد ، في الوقت الذي كان ابليس يحس افلاساً مريعاً من جهته ، لان أبناءه اليهود قد انكروه ، وتنكروا لافضاله ، بعد ان سرقوا رسالته ، وبعد ان اقام لهم دولة في فلسطين ، ثم اعتبروه وهماً من الاوهام ، ويلتقي ابليس ابناءه الشياطين ، ويستشيرهم في التوبة الى الله ، ولكن ابليس كان يمكر ، ويمكر الله ، والله خير الماكرين ، اذ ما تفيد توبة ابليس واحد خلّف ستة عشر مليوناً من الابالسة ، يفسدون في كل ركن من اركان الارض ، وهؤلاء الابالسة طبعاً هم بنو اسرائيل ، او بنو ابليس .

ويسوء ابليس ـ في المشهد الخامس ـ ان يغدو واحداً من ستة عشر مليوناً ، فيهتدي الى اسلوب التهجين ، بتزويج الشياطين من اليهوديات ، والشيطانات من رجال اليهود ، فيرتفع الشياطين قليلاً الى مستوى اليهود ، وينخفض اليهود قليلاً عن مستواه ، فيبقى وحده بلا نظير ، وبذلك ينسلخ اليهود عن انسانيتهم ، فلا تربطهم بالانسانية غير صلة العداوة والبغضاء ،

ى أن يقوم ملكوتهم ، ملكوته ، فينتقموا من جميع البشر ، ويسخروهم تسخير الأنعام .. ولكن .. هيهات ..

والطريف في هذه المسرحية ، هذا الشمول والاستيعاب ، وادخال عناصر من أبالسة الجن والانس . ولعل هذا يذكرنا بمسرحية محمود تيمور (أشطر من إبليس) فقد غدا هؤلاء الآدميون أشطر من ابليس وشياطينه ، لقنوا رسالة ابليس فوعدوها خيراً من شياطينهم ، وراحوا يعيثون في الأرض فساداً أي فساد ، حتى في الارض المقدسة التي باركها الله وبارك ما حولها .

التوراة الضائعة

وبعد نكسة حزيران الأسود ، كتب باكثير مسرحيته الأخيرة (التوراة الضائعة) ولم تنشر إلا بعد وفاته ـ رحمه الله ـ بقليل (ديسمبر ١٩٦٩) .

تتألف هذه المسرحية من ثلاثة فصول ، وعدة مشاهد خيالية وواقعية تقع في مئة واثنتين وثلاثين صفحة من القطع العادي .

في الفصل الأول يطالعنا بالمشهد الأول ، وهو خيالي ، نرى شبحي صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد ، وقد نفر كلٌ منهما الى الأرض المقدسة التي دنسها الصهاينة ، فيصب ريتشارد لعناته على العرب والمسلمين ، لأنهم تركوا هؤلاء المجرمين ، يعيشون فيها ، ويدنسونها . وفيما هما يتحاوران ، اذا هما يريان وادياً من أودية جهنم ، يعذب فيه هرتزل - زعيم الحركة الصهيونية - وهتلر - زعيم النازية - لأنهما ميزا بين الشعوب الانسانية ، فقال الاول عن اليهود : نحن شعب الله المختار ، وقال الثاني : الجرمان فوق الجميع .

والمشهد الثاني واقعي يجري في احد الفنادق الكبيرة في القدس ، حيث نرى كوهين (وهو امريكي من اصل الماني) جاء مع امرأته الى فلسطين المحتلة ، بعد ان تبرع لها بمليون دولار ، وجاء بكامل رصيده اليها ، لسبب وجيه ، هو أن يرى الوجوه المشوهة بقنابل النابالم ، والاحياء العربيـــة التي دمرت وازيلت انقاضها من وجه الارض ، وجموع النازحين يعبرون النهر الى الضفة الشرقية ،يدفع بعضهم بعضاً من الرعب ،

و جنود البواسل من الصهاينة ينخسون جنوبهم بالحراب . ان الحقد والانتقام هما اللذان دفعاه الى فلسطين المحتلة ، حتى بلغ به الحقد ان يأمر مدير الفندق ليحضر احد ضحايا النابالم ، ليراه وهو يأكل ، فيجمع بين اللذتين ، لذة الطعام ، ولذةالانتقام ، الاولى غذاء للجسد ، والثانية غذاء للروح .

وفي المشهد الثالث يصاب (جيم بن كوهين) بصدمة عصبية بعـــد ما شاهد منظر الوجه المحروق بالنابالم ، كما يتهم كوهين زوجته المسيحية بربارة بالخيانة وانجاب هـــذا الولد الضعيف (جيم) وهي تدافع عن نفسها بلا جدوى .

وفي المشهد الاول من الفصل الثاني ما يزال كوهين يتشفى بمناظر النازحين المحفوظة لديه في (البومات) يستعرضها ويتصفح ما فيها من صور : مذبحة ناصر الدين ، قبية ، ومجزرة خان يونس ، ومذابح دير ياسين ، ونساء عربيات عرايا على عربة كبيرة مكشوفة .

وكان كوهين قد دبر كاهناً يهودياً شاباً ليصحب زوجته بربارة ، لعله يعيدها الى دين اجدادها القدامى ، عندما

كانوا يهوداً . وخادمتهم المسيحية (آنا) تبدي خشيتها على سيدتها من ذلك الكاهن الشاب ، ولكن .. هيهات ان يستمع اليها كوهين .. لأن كوهين هذا يريد أن يبادل الكاهن الشاب بخطيبته الشابة . وهذا المشهد حافلٌ بفجور اليهود .

وفي المشهد الثاني يعود بنا باكثير الى المشهد الثاني من الفصل الاول ، فنرى صلاح الدين وقلب الأسد يتحاوران . وقلب الاسد يتمنى لو يرى كلبي اليهود ـ حسب تعبيره ـ تشرشل وبلفور ، فيظهر ان في حالة سيئة من شدة ما لقيا من عذاب الجحيم، ثم يتمنى أن يرى هتلر وهرتزل ، فيظهر ان في مخاضة من نار ، ويغيب تشرشل وبلفور .

والمشهد الثالث واقعي . نرى تصابي كوهين وبربارة، استعدادا لقانون تبادل الزوجات بينه وبين الكاهن الشاب جوزيف في صفاقة . وهنا نشهد حواراً طريفاً بين الكاهن وجيم الذي يتهمه أبوه بالكفر والالحاد ، لانه لا يؤمن بما جاءت به التوراة أو التلمود .

وفي الفصل الثالث يطالعنا مشهد واقعي ، حيث نرى

راشيل بنت كوهين ، وقد عاد زوجها من أمريكا ، وأخذ ولديه ، وعاد بهما الى أمريكا ، وتخلص من هذه المرأة الفاجرة الداعرة التي عرف عنها ولداها كل شيء . ثم إنها تتهم أخاها جيم ، بينما جيم مطلوب من رجال الامن الذين لا يلبثون ان يطاردوا الجميع ؛ حتى أمه وابوه واخته يصبحون مطاردين .

ويظهر هنا ندم بربارة وكوهين ، كلٌ على ما فرط منه ، ويتمنى كوهين لو لم يأت برصيده كله الى إسرائيل ، وعندما يحاول سحب بقية رصيده ، يفاجأ بحساب طويل عريض بلغ تسعة عشر مليون دولار ، فلم يبق له من رصيده سوى خمسة ملايين دولار .

والمشهد الثاني خيالي ، يظهر هتلر وهرتزل ملتصقين ، واذا هرتزل يشكر هتلر ، اذ لولا ما أنزله باليهود من عذاب واضطهاد ، لما سيطروا اليوم على ألمانيا ، ولما سحبوا منها تلك التعويضات الضخمة . وبهذا يكون هتلر قد نفذ مخططهم دون أن يدري . ثم تأتي الزبانية فتسوقها الى قعر جهنم ، فيظهر صلاح الدين وريتشارد ، فيتمنى صلاح الدين لو كانا حيين لضحا

سيفيهما الى بعضها البعض ، وقاتلا هؤلاء المجرمين . ويضيق قلب الاسد بالبقاء هنا ، يرى ما يرى من جناية العالم المسيحي على الارض التي باركها المسيح ، ويعود الى قبره ، تاركاً للرب القدير ان يفعل ما يشاء ، وصوت صلاح الدين يشيعه :

لا بأس
عد اذن الى قبرك
ونم ملء عينيك
فلسوف تصحو ذات يوم
فلا تجد في هذه الارض المقدسة ظلاً لاعداء المسيح
وتعود أرض السلام
الى اهل السلام

وفي المشهد الاخير، في أحد الاديرة في القدس ،يجيء كوهين وراشيل ليزورا بربارة التي دخلت الدير ، وكوهين يعتذر عما بدر منه تجاهها ، ثم يلتقي ولده جيم هناك ، متخفياً على صورة شماس بعد أن التحق بالفدائيين العرب،ويقر قرار الفدائيين على ان يعود جيم الى الولايات المتحدة ، ليبصر اهلها

بحقيقة القضية الفلسطينية ، واذا أبوه كوهين يؤيدهم ويضع كل ما يملك تحت تصرفه ، انه يحقد الآن على الصهيونية والتوراة والتلمود، وسيعمل من أجل القضاء عليها جميعاً، إنه يريد توراة جديدة . ولكن ولده جيم يقول له : انه وجدها بعد أن كانت ضائعة .. وجدها في وصايا الانجيل ، وتعاليم القرآن ، فهما :

كتابان سماويان
الى الله يدعوان
والى التقوى والايمان
والى البر والاحسان
والخير لبني الانسان
دون فرق بين أجناس وألوان
لا ريب ان توراة موسى تنبع من حيث ينبعان
وتدعو الى مثل ما يدعوان
ألا إن مصدر الوحي واحد ليس له ثان
من قلب الرحمن
الى ضمير الانسان

وتنتهي المسرحية .

وبهذا يكون باكثير ما يزال متفائلاً بالنصر ، وهنا طرح حلاً جديداً هو ظهور الحركة الفدائية من جهة ، وتوعية اليهود وأنصارهم في العالم بحقيقة اسرائيل وحكامها من جهة أخرى ، الى جانب تفاؤله ـ برغم الانتصار الساحق في حزيران . بافلاس نفسي لليهود ، يضطرهم الى العودة الى بلادهم الاصلية كفعل كوهين الذي هو أشبه بكيسنجر من بعض الوجوه . الى جانب تفاؤله بأن يقف اليهود ـ ذات يوم ـ على حقيقة الدور القذر الذي تنهض به اسرائيل وحكامها ، فيقفوا ضدهم .. وبهذا وذاك تكون نهاية الدولة المسخ .. اسرائيل ..

رحم الله باكثير .. فقد كان الرائد .. وكان المبرز .. وكانت فلسطين تحيا في بؤرة شعوره . تؤرقه . فيسعى الى الاسهام في ايجاد الحلول ، باعمال الفكر ، وطرح الحلول التي لو عمل بها العرب بله المسلمين ، لما كان لاسرائيل ما تتبجح به وتتطاول .. ونحن ما نزال نرقب الموقف الى الوسيلة الناجعة التي تمكننا من القضاء على هذا المسخ الهجين الذي راح يتعملق ويستأسد . بعد ان انتصر في أكثر من حرب ..

الكتاب

هذا الكتاب جزء من مشروع كبير كان الكاتب يعمل مع الفيف من زملائه على انجازه .. والمشروع هو دراسة شاملة لأدب باكثير ، ولكن العراقيل وضعت في وجه المشروع فتوقف .

وكان المفروض أن يخرج الكتاب في ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير ، لولا أن الجمعية الأدبية كانت قد فرضت على أعضائها اخراج كتبهم في أربع وستين صفحة ، ولكن هذا الكتاب تجاوز ذلك الى الضعف . ومع ذلك ، يرى الكاتب أنه لم يف إلا ببعض ما يهدف اليه من بيان اشراقات ذلك الأديب الضخم : باكثير الذي غمطه الناس حقه حياً وميتاً .

ولعل الكاتب يستطيع في قابل ، أن ينجز ما وعد به من تقديم دراسات شاملة عن أدبية الفذ .